

الفصل الخامس: علاقة الإخوان بالحياة السياسية والفكرية

المعاصرة في ميزان السياسة الشرعية:-

المبحث الأول: السياسة الشرعية لدى الإخوان المسلمين في موقفهم

من ولاية الأمر:-

المطلب الأول: طاعة ولي الأمر في السياسة الشرعية:-

عني الفقه الإسلامي في باب السياسة الشرعية ببيان واجبات ولي الأمر وحقوقه ووضع الضوابط التي بمقتضاها تتحدد حركة سير الأمة في ممارستها لأعمالها واختصاصاتها بعيدا عن الخروج على أعمال ولي الأمر واختصاصاته، وجعل الخروج على ولي الأمر ضربا من ضروب العصيان المنافي للطاعة الواجبة لولي الأمر.

قال الله U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)) (١).

وقال النبي ٣ فيما جاء عن أبي هريرة، "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع الإمام فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى الإمام فقد عصاني" (٢).

وفيما ورد عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله ٣: "من رأى من أميره شيئا يكرهه، فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا، فيموت إلا مات ميتة جاهلية" (٣).

واحترام اختصاصات ولي الأمر، وطاعته، وعدم الخروج عليه يعد نتاجا طبيعيا للبيعة المعقودة لولي الأمر من الأمة؛ على أن هذه البيعة تعد مؤكدة لمبدأ طاعة ولي الأمر الثابت بالنصوص الشرعية، وليست مؤسسة له؛ بمعنى أن طاعة ولي الأمر واحترام اختصاصاته وعدم الخروج عليه يظل لازما لجميع الأمة؛ من بايع منهم ولي الأمر، ومن لم يبايعه، أما من بايع ولي الأمر فقد لزمته الطاعة بموجب نصوص الشرع والبيعة معا، وأما من لم يبايع فقد لزمته طاعة ولي الأمر بموجب نصوص الشرع فقط.

(١) سورة النساء الآية: (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب: يقاتل من وراء الإمام ويتقي به (١٣٥/٦) (٢٩٥٧)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٤٦٦/٣) (١٨٣٥ - ٣٢).

(٣) أخرجه البخاري كتاب الفتن، باب: قوله ٣: «سترون بعدي أمورا تنكرونها» (٧/١٣) رقم (٧٠٥٣)، وطرفاه في (٧٠٥٤)، (٧١٤٣)، ومسلم كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٤٧٧/٣، ١٤٧٨) رقم (١٨٤٩/٥٦، ٥٥).

وليس أدل علي وجوب الطاعة وعدم جواز الخروج علي ولي الأمر إطلاقاً اللهم إلا في حالة الرده من قول النبي ﷺ "تكون هدنة على دخن ثم تكون دعاة الضلالة قال: فإن رأيت يومئذ خليفة في الأرض فالزمه وإن نكح جسمك وأخذ مالك فإن لم تسره فاهرب في الأرض ولو أن تموت وأنت عاض بجذل شجرة"^(١).

وفي رواية (وإن جلد ظهره وأخذ مالك)^(٢).

فهذا الحديث فصل في محل النزاع حول مسألة الخروج علي ولي الأمر لظلم أو فسق أو بدعه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (وما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور، ومناصحتهم واجب على الإنسان وإن لم يعاهدكم عليه، وإن لم يحلف لهم الأيمان المؤكدة؛ كما يجب عليه الصلوات الخمس، والزكاة، والصيام، وحج البيت، وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله من الطاعة، فإذا حلف على ذلك كان ذلك توكيداً وتثبيتاً لما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم، ولهذا من كان حالفاً على ما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم، لا يجوز لأحد أن يفتيه بمخالفة ما حلف عليه والحنث في يمينه، ولا يجوز أن يستفتي في ذلك، ومن أفتى مثل هؤلاء بمخالفة ما حلفوا عليه، والحنث في أيمانهم، فهو مفتر على الله الكذب، مفت بغير دين الإسلام)^(٣).

واستناد طاعة ولي الأمر في الإسلام على نصوص الشرع ابتداءً، وكونها ليست مجرد نتيجة مباشرة للاتفاق العقدي بينهما^(٤)، هي التي تقيد هذه الطاعة بأحكام الشارع الحنيف؛ ولا تجعلها طاعة مطلقة؛ لأن الطاعة المطلقة في الإسلام هي فقط لله وللرسول.

قال الله ﷻ (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(٥).

وقول الله ﷻ (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)^(٦).

واقتصار الطاعة المطلقة في الإسلام لله ولرسوله فحسب، تعني حصر السيادة في تعاليم الشارع الحكيم، حيث تسود هذه التعاليم المجتمع المسلم حكماً ومحكوماً، وتبقى هذه التعاليم

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٢٤٤، ٤٢٤٥)، وأحمد (٥٠٣/٥).

(٢) رواه مسلم (١٤٧٦/٣)، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، أخرجه أبو داود برقم (٤٢٤٧).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ط (١)، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية، بيروت (٩/٣٥ - ١١).

(٤) ينظر: المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي، د. نيفين عبد الخالق، رسالة دكتوراه، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة

١٩٨٣م، ص (٦٧، ٦٨).

(٥) سورة النور الآية: ٥١.

(٦) سورة الأحزاب الآية: ٣٦.

هي الحاكمة على تصرفاته وأقواله وأفعاله وأوامره، فما صدر عن أهل الاختصاص فيما يتعلق باختصاصاتهم موافقا لأحكام الشرع، فهو واجب الاحترام، وما كان من ذلك مخالفا لأحكام الشرع فليضرب به عرض الحائط؛ لأنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)^(١) ولهذا فإن احترام الفقه الإسلامي لأهل الاختصاص بصفة عامة يأتي مقيدا بأحكام الشارع الحكيم، فإن تعدى المختص ذلك فهو الذي أهدر ماله من حق الطاعة على من هم تحت ولايته، وأوجد لهم ما يسوغ الخروج عليه.

وعلى هذا اتفق الفقهاء على وجوب طاعة ولي الأمر، واحتجوا لذلك بالكتاب والسنة؛ على النحو الآتي:

أولاً: الكتاب الكريم:-

١ - قول الله U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)))^(٢).

وجه الدلالة: يأمر الله U في هذه الآية بطاعته سبحانه، وطاعة رسوله ٣ وطاعة أولي الأمر؛ وعلى هذا فالخروج على أولي الأمر بأي أسلوب من أساليب الخروج مناقضا لوجوب طاعته؛ فيكون حراماً.

ولا غرو أنه يتنافى مع طاعة الأوامر التي تعد من المبادئ الأساسية التي بنيت عليها نظرية القيادة في الفقه الإسلامي، والتي تعتمد أساساً على التزام طاعة الولاة وتفويض الأمر إليهم وبالتالي عدم الخروج عليهم.

٢ - قول الله U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)))^(٣).

وجه الدلالة: أمر الله U في هذه الآية بالتعاون على البر والتقوى، ونهى عن التعاون على الإثم والعدوان، ولا يخفى أن طاعة ولي الأمر والالتزام بأوامره، وتفويض الأمور التي تدخل في

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي ص (٢١١٥)، (٨٥٦)، وأخرجه أحمد في المسند (٦٦/٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٤٥/٣)

والحاكم في المستدرک (٤٤٣/٣)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٢) سورة النساء الآية: (٥٩).

(٣) سورة المائدة: الآية ٢.

إطار اختصاصاته إليه، والصدور فيها عن قراراته، وتنفيذ تعاليمه بشأنها، كل هذا يعد من قبيل التعاون على البر والتقوى المأمور به في هذه الآية.

وفي مقابل ذلك؛ فإن الخروج على ولي الأمر، وعدم التعاون معه على البر والتقوى، بل ومعاداته والتحزب ضده، كل هذا يعد من التعاون على الإثم والعدوان المنهي عنه؛ ومن ثم يكون الخروج على ولي الأمر حراماً؛ درءاً لهذه المفسد، وسداً لباب التعاون على الإثم والعدوان.

٣ - قول الله ﷻ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ((١)) (١).

وجه الدلالة: ففى الله ﷻ فى هذه الآية عن التقديم بين يدي الله ورسوله، وهو يعنى: عدم الخروج عليهما؛ وهو ما يدل عليه تفسير مجاهد لهذه الآية، حيث قال: (لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه) (٢)؛ ولكن يظهر من هذا التفسير أنه خص النهي عن الخروج هنا بأمر الدين؛ لأنه جعل بيانه إلى الله على لسان الرسول ﷺ.

وزاد الضحاك، فجعل النهي عن الافتيات هنا فيما يتعلق بالقتال وشرائع الدين (٣).

والظاهر هنا أن الآية تنهى عن التقدم بأي قول أو فعل بين يدي الله ورسوله فيما سبيله أن يؤخذ عن رسول الله ﷺ من أمر الدين والدنيا (٤).

وقد رجح الألوسي هذا العموم؛ استناداً إلى القاعدة المعروفة: إن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب (٥)، فقال: (اختلفوا في تفسير التقدم، وفي كثير منها تفسيره بخاص، وقال بعضهم: إن الآية عامة في كل قول وفعل.. ورجح بأنه الموافق للسياق، ولما عرف في الأصول من أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب) (٦).

ثانياً: السنة النبوية: -

١ - ما رواه أبو هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني" (٧).

(١) سورة الحجرات، الآية ١.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣٦٤/٧)، وتفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م (٣٣٤/٧)، وتفسير الطبري (٢٧٦/٢٢).

(٣) ينظر: الباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م (٥٢٢/١٧).

(٤) ينظر: نظرات في سورة الحجرات، محمد محمود الصواف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص (٢٠).

(٥) ينظر: البحر المحيط للزركشي (٢٩٠/٤)، وشرح الكوكب المنير، للفتوح، ص (٤٥٢).

(٦) روح المعاني، للألوسي (١٣٤/٢٦).

(٧) تقدم.

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ جعل طاعة ولي الأمر طاعة له ﷻ وطاعته ﷻ طاعة لله ﷻ، وفي مقابل ذلك جعل عصيان ولي الأمر عصيانا له ﷻ، وعصيانه ﷻ عصيانا لله ﷻ، ولا شك أن الخروج على ولي الأمر يدخل في إطار عصيانه؛ ومن ثم يدخل في إطار عصيانه لله ﷻ، ولرسوله ﷺ؛ فيكون محرما؛ ومن هنا يكون هذا الحديث دالا على وجوب طاعة ولي الأمر، وحرمة الخروج عليه؛ وذلك للتأكيد على انتظام أحوال الأمة والذي لا يتأتى إلا بالسمع والطاعة لولاة الأمور وتحريم الخروج عليهم.

قال ابن رجب (رحمه الله): (وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم)^(١). وقال علي بن أبي طالب ؑ: (إذا كان عليكم إمام يعدل في الرعية، ويقسم بالسوية، فاسمعوا له وأطيعوا، وإن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر: فإن كان برا، فللراعي والرعية. وإن كان فاجرا عبد فيه المؤمن ربه، وعمل فيه الفاجر إلى أجله)^(٢). ومن هنا كان السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين أصلا من أصول العقيدة السلفية، به تنتظم مصالح الدين والدنيا معا وبدونه تفسد أمور الأمة أيما فساد.

قال الحسن بن علي البربهاري (رحمه الله): (إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان، فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى، يقول الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان)^(٣).

٢ - عن أنس ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة"^(٤).

٣ - عن أبي ذر ؓ قال: إن خليلي ﷻ أوصاني أن أسمع وأطيع ولو كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف^(٥).

٤ - قال رسول ﷺ "يا أيها الناس اتقوا الله، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، مجدع، فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله"^(٦).

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، مكتبة الدعوة بالأزهر، ص (٢٤٧).

(٢) كنز العمال، للمتقي الهندي، تحقيق بكرى حياني، وصفوت السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م (٧٨٠/٥)، حديث (١٤٣٦٨).

(٣) طبقات الحنابلة (٣٦/٢).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام (١٣٠/١٣) (٧١٤٢)، ومسلم كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٤٦٧/٣) (٣٦ - ١٨٨٧).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٤٦٧/٣) حديث (٣٧ - ١٨٣٨).

(٦) أخرجه الترمذي (١٧٠٦)، وأحمد (٤٠٢/٦، ٤٠٣)، والحميدي (٣٥٩)، والحاكم (١٨٦/٤)، قال الترمذي: حسن صحيح.

وجه الدلالة: هذه الأحاديث صريحة في إيجاب السمع والطاعة لولي الأمر، ومثلها في هذا المعنى كثير من الأحاديث، لم أذكرها خشية الإطالة؛ وهو ما يدل على تأكيد الشرع الحنيف على مسألة طاعة أولي الأمر، وعدم التهاون فيها؛ درءاً للمفاسد الكثيرة التي تترتب على ذلك.

وإذا كانت طاعة أولي الأمر بهذه المنزلة من الدين، وكان حكمها الوجوب، كان ما يتنافى معها محرماً ومحظوراً شرعاً؛ ولا شك أن الخروج على أولي الأمر مما يتنافى مع مبدأ السمع والطاعة لهم؛ ومن ثم يكون الخروج على ولي الأمر محرماً ومحظوراً شرعاً.

٥ - عن سعد بن عبادة ت قال لرسول الله ﷺ: رأيت لو وجدت مع امرأتي رجلاً أمهله حتى آتي بأربعة شهداء؟ فقال رسول الله ﷺ: "نعم" ^(١).

وجه الدلالة: هذا الحديث يسد الباب أمام الخروج على ولي الأمر حتى في أشد المواقف الداعية إلى ذلك؛ كموقف الرجل يرى رجلاً يزي بامرأته، فإن هذا الموقف بنص هذا الحديث لا يسوغ له الخروج على السلطان بقتل هذين الزانيين، وإن كان قتلها مستحقاً حداً؛ لأن إقامة الحدود إلى ولي الأمر، فليس لأحد أن يفتات عليه في ذلك.

قال ابن عبد البر (رحمه الله): - (في هذا الحديث النهي عن قتل من هذه حاله؛ تعظيماً للدم وخوفاً من التطرق إلى إراقة دماء المسلمين بغير ما أمرنا الله به من البيئات أو الإقرار الذي يقام عليه، وسداً لباب الخروج على السلطان في الحدود التي جعلت في الشريعة إليه، وأمر فيها بإقامة الحق على الوجوه التي ورد التوقيف بها) ^(٢).

٦ - قوله ﷺ: "أطع أميرك، وإن جلد ظهرك، وأخذ مالك" ^(٣).

قال النووي (رحمه الله): (في حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ووجوب طاعته، وإن فسق وعمل المعاصي من اخذ الأموال وغير ذلك، فتجب طاعته في غير معصية. وفيه معجزات لرسول الله ﷺ وهي هذه الأمور التي أخبر بها وقد وقعت كلها) ^(٤).

قلت: (لا شك أن الطاعة هنا غير مقصوده لذاتها وإنما مقصوده لغيرها، فإن ترك الطاعة هنا يتولد عنها مفسد لا يعلم مداها إلا الله، فإن خروج الأفراد على الإمام إذا وقع معهم هذا يؤدي لانفراط عقد الجماعة لتتابع الخروج على ذلك، الأمر الذي يفضي في النهاية لوقوع المجتمع باثرة

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٤٣٧/٢)، كتاب: الأقضية، باب: القضاء فيمن وجد مع امرأته رجلاً، ومسلم (١١٣٥/٢)، كتاب: اللعان (١٥ - ١٤٩٨)، وأبو داود (١٨١/٤)، كتاب: الديات، باب: في من وجد مع أهله رجلاً أيقته؟، (٤٥٣٣)، وأحمد في المسند (٤٦٥/٢).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، مؤسسة قرطبة (٢٥٣/٢١).

(٣) رواه مسلم (١٤٧٦/٣)، كتاب: الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٤) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٦ ص ٤٨٢ طبعة دار الحديث الرابعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

في الفوضى والمهرج وهو الأمر الذي يأباه الإسلام لمجتمعه مهما كانت التضحيات فالصبر من قبل الأفراد علي الإمام إن وقع منه هذا ما هي إلا تضحية أفراد لأجل مصلحة الجماعة ولا شك أن مصلحة الفرد إن تعارضت مع مصلحة الجماعة قدمت مصلحة الجماعة علي مصلحة الأفراد وهذا مبدأ أسس له الإسلام وأراد به قاعدة راسخة تحفظ مجتمعه مما قد يعصف به من الفتن).

المطلب الثاني: خروج الإخوان على ولاية الأمر والرد عليه:-

المتبع من سير الإخوان أنهم يفتاتون على الإمام دائما بالخروج عليه والتشهير به قولاً وفعلاً وهذا منهم يخالف معتقد أهل السنة والجماعة إذ يرون أن الخروج على ولي الأمر ممنوع، وإن جار، وفسق، وأخذ المال، وجلد الظهور، وإنما يعالج ذلك منه بالنصيحة والوعظ.. وما أشبه ذلك بدون استعمال القوة والخروج عليه؛ لما في ذلك من المضرة العظيمة التي تحتل من أجلها المضرة الصغرى، المتمثلة في جور ولي الأمر.

قال النووي (رحمه الله): ناسباً هذا القول إلى جماهير أهل السنة (وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين لا ينعزل (يعني: الحاكم) بالفسق، والظلم، وتعطيل الحقوق، ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه، وتخفيفه، للأحاديث الواردة في ذلك)^(١). ثم استطرد النووي (رحمه الله) فقال: (قال القاضي -يعني: عياضاً- وقد ادعى أبو بكر بن مجاهد في هذا الإجماع)^(٢).

وعقوبة الخروج على ولي الأمر العدل؛ تندرج من التعزير حتى تصل إلى حد الحرابة؛ بحسب حال الخارجين، وما أقدموا عليه من أفعال في خروجهم وبغيهم، فإن بغت طائفة من المسلمين على ولي الأمر، وخالفوا رأي الجماعة، وابتدعوا لأنفسهم مذهباً انفردوا به، لكنهم لم يخرجوا به عن المظاهرة بطاعة الإمام، ولا تحيزوا بدار اعتزلوا فيها، وكانوا مجرد أفراد متناثرين يمكن ليد السلطان أن تنالهم، وتقدر عليهم؛ فإنهم يتركون، ولا يقاتلون، وتجري عليهم أحكام العدل فيما يجب لهم أو يلزمهم من الحقوق، والحدود.

يدل لذلك أن خارجياً قال لعلي بن أبي طالب ؑ وهو يخطب على المنبر: (لا حكم إلا لله، فقال علي ؑ كلمة حق أريد بها باطل، لكم علينا ثلاث: لا تمنعكم مساجد الله، أن تذكروا فيها اسم الله، ولا نبدؤكم بقتال، ولا تمنعكم الفيء ما دامت أيديكم معنا)^(٣).

وأما إن تظاهر البغاة باعتقادهم وهم على اختلاطهم بأهل العدل أوضح لهم الإمام فساد ما

(١) شرح مسلم للنووي (٢٢٩/١٢).

(٢) السابق.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (٢٦/٢، ٢٧)، مقالات الإسلاميين، للأشعري (١٩١/١).

اعتقدوا، وبطلان ما ابتدعوا؛ ليرجعوا عنه إلى اعتقاد الحق، وموافقة الجماعة، وجاز للإمام أن يعزر من تظاهر بالفساد أدبا، وزجرا، ولا يتجاوز ذلك إلى قتل، ولا حد، ماداموا لم يتعدوا في بغيهم ما ذكر^(١).

فإن استعمل البغاة القوة؛ قاتلهم الإمام بعد أن يدعوهم للطاعة أولا. قال القرطبي (رحمه الله): (إذا خرجت على الإمام العدل خارجة باغية، ولا حجة لها، قاتلهم الإمام بالمسلمين كافة، أو بمن فيه كفاية، ويدعوهم قبل ذلك إلى الطاعة والدخول في الجماعة، فإن أبوا من الرجوع والصلح قوتلوا، ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع مدبرهم، ولا يذفف على جريحهم، ولا تسي ذراريهم، ولا أموالهم)^(٢).

وقد تصافرت أقوال علماء المذاهب المختلفة على أن مقاتلة الخارجين الباغين لا تكون إلا بعد دعوتهم إلى الطاعة والرجوع للجماعة.

جاء في فتح القدير^(٣): (وإذا تغلب قوم من المسلمين على بلد، وخرجوا عن طاعة إمام الناس به في أمان، والطرق آمنة، دعاهم إلى العود إلى الجماعة، وكشف عن شبهتهم التي أوجبت خروجهم).

وجاء في حاشية الدسوقي^(٤): (يدعوهم أولا للدخول تحت طاعته ما لم يعاجلوه بالقتال، أي وإلا فلا تجب الدعوة).

وجاء في نهاية المحتاج^(٥): (ولا يقاتل البغاة حتى يبعث إليهم أمينا فطنا ناصحا يسألهم ما ينقمون على الإمام تأسيسا بعلي t).

وجاء في المغني^(٦): (ولا يجوز قتالهم حتى يبعث إليهم من يسألهم ويكشف لهم الصواب إلا أن يخاف).

وجاء في المحلى^(٧): (وهكذا جاء عن أبي حنيفة والشافعي وأبي سليمان وأصحابهم أن الخارجة على الإمام إذا خرجت، سئلوا عن خروجهم، فإن ذكروا مظلمة ظلموها، أنصفوا، وإلا دعوا إلى الفئدة، فإن فاءوا، فلا شيء عليهم، وإن أبوا قوتلوا).

ومن هذا يتبين أن الفقهاء متفقون على وجوب دعوة الخارجين على ولي الأمر إلى العودة

(١) ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي، ص (٥٨).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٢٠/١٦)، وسبل السلام (١٢٣٤/٣).

(٣) ينظر: شرح فتح القدير (٣٣٤/٥).

(٤) ينظر: حاشية الدسوقي (٤٩٩/٤).

(٥) نهاية المحتاج (٣٨٥/٧).

(٦) المغني لابن قدامة (٥٣/١٠).

(٧) المحلى لابن حزم (٥٠١/١٢).

إلى لزوم الطاعة والجماعة^(١).

وقد فعل الصحابة y ذلك، فقد روي عن علي t أنه ناظر الخارجين في موقعة الجمل، واستمع إليهم، ومكنهم من إبداء أسباب خروجهم^(٢)، فروى أن عليا t راسل أهل البصرة قبل موقعة الجمل، ثم أمر أصحابه ألا يبدؤوا بقتالهم، ثم قال: (إن هذا يوم من فلح منه فلح يوم القيامة) ثم سمعهم يقولون: الله أكبر يا ثارات عثمان، فقال: (اللهم أكب قتل عثمان بوجوههم)^(٣).
ويدل لمقاتلة الباغين الخارجين على ولي الأمر نصوص الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

أولا الكتاب الكريم:-

قال الله U (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تَفِيءَ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩))^(٤).

وجه الدلالة: أن هذه الآية وإن لم يكن فيها ذكر الخروج على الإمام صريحا فإنها تشتمل عليه من جهة ما فيها من العموم الذي يقتضي قتال الباغين على ولي الأمر؛ لأنه إذا طلب القتال لبغي طائفة من المسلمين على طائفة أخرى، فلا يجوز القتال للبغي على الإمام أولى^(٥).

ثانيا السنة المطهرة:

عن عرفجة بن شريح t قال سمعت رسول الله r يقول: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه"^(٦).
وفي رواية: "إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنا من كان"^(٧).

ثالثا: الإجماع:-

يدل لقتال الباغين الخارجين إجماع الصحابة y على ذلك حيث قاتل أبو بكر t مانعي الزكاة، قال ابن قدامة (رحمه الله): (وأجمعت الصحابة y على قتال البغاة فإن أبا بكر t قاتل مانعي الزكاة وعلي قاتل أهل الجمل وصفين وأهل النهروان)^(٨).

(١) ينظر: الفقه الإسلامي في طريق التجديد، د/محمد سليم العوا، ص (١٤٩).

(٢) البغي في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة، د/عبد الفتاح محمد فايد، ص (٢٢٨).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤١٨/٣).

(٤) سورة الحجرات: الآية (٩).

(٥) فتح الوهاب (١٥٣/٢).

(٦) تقدم.

(٧) تقدم.

(٨) المغني (٤٦/١٠).

ومن هذا يتضح أن نصوص الشرع وإجماع الصحابة تدل على قتال الخارجين البغاة، ولكن على الإمام أن يتخذ عدة إجراءات قبل الإقدام على قتالهم بأن يرسل إليهم ليستوضح منهم الأمر، ويقف على حقيقة مطالبهم، فيبعث لهم أمينا فطنا ناصحا.

قال البيهقوري^(١): (وجوبا يحرم قتالهم قبل البعث، فيسألهم عما ينقمون منه، ويحاججهم في آرائهم، ويدعوهم إلى الصلح)^(٢)؛ لأن الله أمر بالإصلاح أولا في قول U (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩))^(٣). وهذه الدعوة سبقت قول الله U (فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى)، والإصلاح: هو الوعظ والنصيحة، والاحتكام إلى القضاء، فلا يجوز إذن تقديم ما أخره الله U^(٤).

وإذا اجتمع الخارجون على ولي الأمر، وأفسدوا، وشهروا السلاح، وقطعوا الطريق، وأخذوا الأموال، وقتلوا النفوس، ونحو ذلك؛ فهؤلاء الخارجون، الذين قال U فيهم (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)^(٥).

قال الشيخ علي الفضلي: (الإخوان المسلمون هم اليوم من يقود فتنة الخروج على ولي الأمر فقد يتعجب متعجب ويتساءل متساءل ويقول قائل: ما الذي منع الإخوان المسلمين من قبول مثل هذه الأدلة الصريحة الواضحة الجلية البينة الجمع على صحتها ودلائلها؟).

الجواب: دعوة الإخوان المسلمين عبارة عن حركة تنظيمية تكتيكية سرية ينظم فيها الملحقون بها والمنتسبون إليها في شكل خلايا ومجموعات سرية لكل جماعة أو حلقة أو خلية أمير يسمع ويطاع وعلى كل عدد مجموعات أمير وهكذا لا يعرف أحدهم مكان الآخر في هذه الخلايا والمجموعات إلا من كان معه في حلقاته ومستواه وهي أيضا عبارة عن مستويات مستوى أول للمبتدئين والملحقين الجدد ومستوى متوسط للمتوسطين ومستوى ثالث للناضجين ومن صارت عنده القناعة التامة بهذا المنهج والاستعداد التام للتضحية من أجله وفي سبيله.

وهم يسعون جاهدين ليلا ونهارا بشق الوسائل في ضم أكبر عدد ممكن من الرجال والنساء والكبار والصغار وبصورة تدريجية في هذا التنظيم وإلى هذه المجموعات والخلايا التي تشبه في

(١) حاشية إبراهيم البيهقوري (٤٧٦/٢).

(٢) المذهب للشيرازي (٥٩٥/٣).

(٣) سورة الحجرات: الآية (٩).

(٤) جرائم أمن الدولة وعقوبتها في الفقه الإسلامي، يوسف الشال، ص (١٠٥)، منذر عرفات زيتون، ص (١٤٠-١٤١).

(٥) سورة المائدة آية: ٣٣.

تنظيمها وتكتيكها وسريتها ما يُسمى اليوم بالأمن السياسي أو القومي مثلاً تقريباً.
في هذه الخلايا والمجموعات وفي جلساتهم الخاصة وحلقاتهم السرية والبدرومات يقومون مع أتباعهم والمتحقين بهذه الحركة بأمور وتوجيهات هي عبارة عن غسيل مخ من جهة ، و وقاية وحصانة من المؤثرات الخارجية من جهة أخرى وهذه الأمور هي الأسباب التي جعلتهم لا يقبلون مثل هذه الأدلة ولا يعملون بها وسأذكر منها خمسة أسباب :

الأول: تكفير الحكام ومنهم رئيس البلاد وإن كانوا لا يظهرون ذلك للمجتمع لأنهم يعلمون أن المجتمع لن يوافقهم في ذلك فبعد ذلك لا يكادون يقبلون منك آية أو حديثاً في هذا الباب وهم في هذه المسألة سلكوا مسلك الشيعة (التقية) .

الثاني: تعظيم رموز هذه الحركة ومؤسسيها في نفوس أتباعهم والغلو فيهم وتعليق قلوبهم بهم خلافاً لما كان ينبغي عليهم فعله وهو يعظم الكتاب والسنة والأدلة والحق لا الأشخاص كما تفعل الصوفية فإذا قلت لأحدهم بعد ذلك قال الله وقال رسول الله أجابك قائلاً قد أفنى فلان وقال فلان وهو أعرف وأدرى يعني بذلك - يعني بذلك رموز الحركة وقادتها ومؤسسيها.

الثالث: القسم والبيعة اللذان يحصلان في تلك الحلقات السرية لكل ملتحق بالجماعة ورموزها وتتخذ منه البيعة على ذلك فيصير بعد ذلك عبداً لأوامرهم وتوجيهاتهم مطيعاً لهم طاعة عمياء لا يعرف بعد ذلك أباً ولا أمّاً ولا أدلة ولا يقبل منك بعد ذلك آية ولا حديثاً إلا ما أتاه عن طريق تلك الجماعة ويبقى على الولاء والطاعة لتلك الجماعة خوفاً من الحنث في اليمين ونقص البيعة في زعمه وظنه الباطل.

الرابع: الطعن والتشويه بالدعوة السلفية دعوة أهل السنة والجماعة رموزها وعلماءها ودعائها لأنهم يرون أن أخطر دعوة على دعوتهم هي الدعوة السلفية لما عند أهلها من العلم والبصيرة والصدع بالحق وعدم السكوت على الباطل فتارة يقولون لأتباعهم هؤلاء يسبون العلماء وتارة هؤلاء عملاء للحكام وتارة هؤلاء موظفون في الأمن السياسي وتارة هؤلاء لا يفقهون الواقع ولا يدركون الأمور وتارة هؤلاء علماء حيض ونفاس وهكذا يصدون عن سبيل الله وينزعون الثقة من قلوب أتباعهم بعلماء ودعاة السنة وأهل الحق فإذا ما رأى أحدهم بعد ذلك سنياً أو سلفياً تخيله وحشاً مفترساً وتصوره عدواً للإسلام والمسلمين لا يكاد بعد ذلك يقبل منه آية أو حديثاً إلا أن يشاء الله.

الخامس: التربية السيئة منهم لأتباعهم فهم لا يربون أتباعهم على العقيدة والتوحيد والفقهاء والتفسير والأدلة الشرعية والحرص على السنة والتمسك بها ولكنهم يربونهم على الاناشيد والمسرحيات والرحلات والمأكولات والمشروبات والتنظيمات السرية والترفيهات والرياضة

بأنواعها ويملأون عقولهم بالشبهات وربما قرؤوا بعض الكتب في تلك الحلقات لكنها غالبا كتب حركية لا علمية والعلمية منها هزيلة في مادتها فتجد أحدهم بعد ذلك قد جمع بين الجهل والشبهات ومثل هذا الصنف يصعب إقناعه بعد ذلك بآية أو بحديث يخالف ما هو عليه إلا أن يشاء الله .

ثم أعلم ما يأتي:

١ - للإخوان المسلمين طرق وأساليب عدة في كسب واجتذاب الشباب وأبناء المسلمين إلى حركتهم منها حلقات القرآن الكريم وأساليب الترفيه مثل الأناشيد والمسرحيات والرحلات والمأكولات والمشروبات ومنها أيضا الصيام الجماعي والقيام الجماعي في بعض أيام السنة ومنها الاعتكافات الجماعية في شهر رمضان ومنها النوادي الرياضية بشتى صورها وأنواعها ومنها مراكز التحفيظ والمهن النسوية وغير ذلك من الأساليب والطرق.

٢ - الإخوان المسلمون لديهم من النزعات العصبية والنزعات الجاهلية في تصرفاتهم ومعاملاتهم مالا يليق بأهل الإيمان والاستقامة والصلاح بسبب سوء التربية واهتمامهم بالكم لا بالكيف.

٣ - الاسم المعروف القديم لهذه الحركة (الإخوان المسلمون) والاسم السياسي اليوم (حزب التجمع اليمني للإصلاح) فهم واقعون في الحزبية من قبل ومن بعد تحت أي مسمى كان.

٤ - مؤسس هذه الحركة رجل ليس بعالم ولا بطالب علم صاحب منهج منحرف وتصور وعقيدة باطلة بقال له حسن البنا فعمر هذا التنظيم لا يتجاوز المائة عام ولم يكن قبل ذلك معروفا في أوساط المسلمين لا في عهد النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولا عهد الصحابة ولا عهد التابعين ولا أئمة الدين كمالك و أحمد و الشافعي و أبي حنيفة إلى أن أبتدعه وأحدثه هذا الرجل المسمى بحسن البنا فهو منهج محدث ومبتدع في دين الله عز وجل والنبي ﷺ يقول: " من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد " .

٥ - رموز الإخوان المسلمون البارزون في الساحة اليوم إنما هم عبارة عن مفكرين إسلاميين كما يقال أو مثقفين إسلاميين أو مجرد دعاة يلمعون ويعظمون ويغالى فيهم ويرفع من شأنهم فوق منزلتهم الحقيقية حتى يظهروا بمظهر العلماء في أعين من لا يعرف العلم وأهله من العامة وغيرهم فيتزعمون قيادة الأمة والخوض في شؤونها العظيمة فيأخذون الشعوب إلى خدمة أهواءهم وبدعتهم وأحزابهم ومطامعهم وخير ما يصف حالهم هذا حديث عبدالله بن عمرو ؓ أن النبي ﷺ قال : " إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعا ولكن يقبض العلماء ، فإذا لم يبق عالما : اتخذ الناس رؤوسا جهالا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا " ^(١) ^(١).

(١) أخرجه البخاري كتاب العلم باب كيف يقبض العلم ح (١٠٠)، ومسلم كتاب العلم ح (٢٦٧٣).

المطلب الثالث: تشهير الإخوان بولادة الأمر والرد عليه:-

المستقرئ لجماعة الإخوان المسلمين يلمس بوضوح أنهم يشهرون بولادة الأمر في مجالسهم ومنتدياتهم وهذا يخالف ما عليه سلف الأمة لأن من أصول العقيدة الصحيحة السمع والطاعة لولادة أمر المسلمين في غير معصية الله.

قال الله U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ^(٢)، وأولو الأمر هم الأمراء على الصحيح من أقوال أهل العلم كما تقدم.

والإسلام يشجع على التناصح بين المسلمين، ويأمر به، ويؤكد عليه؛ كما يدل لذلك ما روى جرير بن عبد الله t قال: (بايعت رسول الله r على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) ^(٣).

وأولو الأمر لضخامة مسئولياتهم وثقل التبعة الملقاة عليهم هم أحوج الناس إلى النصيحة، وليس في نصحتهم افتيات عليهم ما دام النصح لهم يتم بالطرق المشروعة بلا خروج عليهم أو منازعة لهم؛ بل إن النصح لأولي الأمر بالطرق المشروعة واجب.

قال رسول الله r: "الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم" ^(٤).

ولما روى أبو هريرة t عن رسول الله r أنه قال: "إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال" ^(٥).

فقوله r في هذا الحديث: "تناصحوا من ولاه الله أمركم" يفيد إيجاب النصيحة لولادة أمورهم من الخلفاء، وسائر الأمراء؛ ومن ثم يكون التوجه بالنصح إلى ولي الأمر واجبا لازما لمن قدر عليه، وقال زين الدين ابن الوردي: (إن نصيحة أولي الأمر تلزم، والتنبيه على مصالح العباد قبل حلول الفساد أحزم، والمتكلم لله U مأجور، والظالم ممقوت مهجور، وتحسين الكلام لدفع الضرر عن الإسلام عبادة) ^(٦).

(١) بحث علمي: طاعة ولادة الأمور وموقف الإخوان المسلمين، علي الفضلي، مركز بشارت الخير لتعليم الكتاب والسنة، صنعاء.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب أن الدين النصيحة، حديث (٧٥/١) (٩٨).

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان: باب: بيان أن الدين النصيحة حديث (٧٤/١) (٥٥/٩٥).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (١٣٤٠/٣) (١٧١٥/١٠).

(٦) نقلا عن مجلة المنار (٣٠/١٦).

قال بن حجر (رحمه الله): مبينا ما تكون به نصيحة أولي الأمر، فيقول: (والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن)^(١).

ولكي تبقى نصيحة أولي الأمر في إطارها الصحيح بعيدا عن الافتيات عليهم؛ فلا بد أن يتلطف الناصح في النصيحة، ويعرضها في معرض حسن، وبأسلوب لا يستثير ولي الأمر وبطريقة لا تغضبه.

قال رسول الله ٣ (من أراد أن ينصح لسلطان بأمر، فلا يبد له علانية، ولكن ليأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه له)^(٢).

وقال عبد الله بن أبي أوفى لسعيد بن جهمان: (إن كان السلطان يسمع منك، فائته في بيته، فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك وإلا فدعه، فإنك لست بأعلم منه)^(٣).

وخلاصة الأمر: أن نصح ولي الأمر أمر واجب على من يرجو أن يسمع ولي الأمر منه، ولا يعد ذلك افتياتا على ولي الأمر، ما لم يخرج الناصح عن اللياقة في التعامل مع ولادة الأمور؛ وإذا كان ذلك كذلك فجدير بعلماء المسلمين في هذا العصر ألا يألوا جهدا في إسداء النصح لولادة أمر المسلمين؛ حتى يتمكنوا من الاستعانة بهم والتعاون معهم لرفعة الإسلام والمسلمين، وصد الحملات المغرضة التي يشنها أعداء الإسلام ضد الإسلام، لا سيما في هذه الآونة التي تفشت فيها الأحقاد العرقية ضد المسلمين.

وإنما خالف الإخوان ما عليه سلف الأمة فشهبوا بالحكام وتشددوا ببعض الأقاويل؛ ولا ينبغي هنا أن يغتر المرء بما قد يقرؤه أو يسمعه عن سير بعض علماء السلف، وتعرضهم الجراح لسلطينهم وولاقتهم، ويظن أن ذلك سائغ مطلقا؛ وذلك لأن علماء السلف إنما تعرضوا هذا التعرض لسلطينهم لما كانت لهم من هيبه في نفوس هؤلاء السلطين.

قال ابن مفلح (رحمه الله): (فأما ما جرى للسلف من التعرض لأمرائهم فإنهم كانوا يهابون العلماء، فإذا انبسطوا عليهم احتملوهم في الأغلب)^(٤).

إذن فعلماء السلف كانوا ينصحون سلطينهم بشيء من الجرأة، تسمح بها ظروف العصر الذي كان للعلماء فيه قدرهم وهيتهم، وقلما يوجد مثل هذا الآن؛ ومن ثم فالأولى عدم التشهير

(١) فتح الباري (١/١٣٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٣/٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٢٩): رجاله ثقات.

(٣) مسند الإمام أحمد، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال، المكتب الإسلامي، بيروت، ط(٥)، ١٤٠٥هـ (٤/٣٨٢).

(٤) الآداب الشرعية (١/١٨٦).

بإعلان النصح لولي الأمر، وإنما ينبغي أن يكون هذا سراً؛ كما يقول ابن النحاس: (ويختار الكلام مع السلطان في الخلوة على الكلام معه على رءوس الأشهاد، بل يود لو كلمه سرا، ونصحه خفية، من غير ثالث لهما، ويكره أن يقال عنه أو يحكي ما اتفق له، وأن يشهر بذلك بين العامة)^(١).

كما ينبغي لمن توجه بالنصح لولي الأمر أن يحسن النية والقصد، فإن ذلك أساس القبول منه عند الله ﷻ وليختر من الألفاظ الطفها، ومن الأوقات أنسبها، ومن المقامات أقربها، وليقدم بين يدي نصيحته ما يرى أنه حق من جميل صنائعه، مذكرا بأن القصور أو التقصير من طبع الإنسان مهما بلغ، والحذر الحذر من العبارات الفظة الغليظة الخشنة، فإنها تنفر من القبول، وتدفع للرفض.

وتبقى نصيحة أولي الأمر هي العلاج الأول الذي يقي الأمة الفتن بالخروج على ولي الأمر، والافتيات عليهم، الذي قد يأتي بمفاسد أعظم من مفسدة تقصير ولي الأمر أضعافا مضاعفة.

قال الحسن البصري (رحمه الله): (هم - يعني: أولي الأمر - يلون من أمورنا خمسا: الجمعة، والجماعة، والعيد، والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن الله إن طاعتهم لغبطة، وإن فرقهم لكفر)^(٢).

ولهذا كان من مذهب أهل السنة والجماعة أنهم: لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن حصل منهم ظلم أو تقصير. كما أنه ليس من منهج أهل السنة التشهير بعيوب الولاة على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف. وكانت طريقة السلف النصيحة فيما بينهم، ويكفي إنكار المنكر والمعاصي الحاصلة والتحذير منها من غير أن يذكر فاعلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ، لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته. والله ﷻ لم يأمر بقتال كل ظالم وكل باغ كيفما كان، ولا أمر بقتال الباغين ابتداء، بل قال ﷻ (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين عن أعمال الهالكين، للشيخ: أحمد ابن إبراهيم الدمشقي، المعروف بابن النحاس، مكتبة الحرمين بالرياض، ط ٢، ١٤٠٦هـ، (٥٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (٣١٨).

تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ^(١)، فلم يأمر بقتال الباغية ابتداء فكيف يأمر بقتال ولادة الأمر ابتداء^(٢).

وقال البرهاري (رحمه الله): (ليس من السنة قتال السلطان فإن فيه فساد الدنيا والدين)^(٣). فلم يرخص الشارع بالخروج عليهم إذا لم يسمعوا للنصيحة بل أمر بالصبر عليهم وأخبر أن الإثم عليهم، ومن نصح لهم وأنكر بالطريقة المشروعة فهو بريء من الذنب. وعلى هذا فلا يجوز سب ولادة الأمر وشتيمهم والتشهير بهم، فإن هذا خلاف النصوص وما كان عليه السلف الصالح.

فعن أنس ؓ قال: هُنا كبراًؤنا من أصحاب محمد قالوا: قال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب"^(٤). وعن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من أكرم سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة ومن أهان سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أهانه الله يوم القيامة"^(٥). قلت: - عند هذا الحد ينبغي التأكيد علي أن الخروج ليس كما يظن كثير من الناس ليس له إلا شكل واحد وهو حمل السلاح فإن هذا الأمر ما هو إلا نتيجة مباشرة لما يفعله أمثال الإخوان من التشهير بولادة الأمور.

فليس ثمة مبالغة إن قلنا أن التشهير بولادة الأمور اخطر أشكال الخروج علي أولي الأمر لأنه يزكي روح العداء ويؤجج نار الخلاف ويوسع هوة التنافر والتباعد الأمر الذي يفضي وبشكل مباشر وصريح لحمل السلاح.

وليس أدل علي ما ذهبت إليه وانتصرت له - من أن التشهير احد اخطر أنواع الخروج علي أولي الأمر - مما وقع في زمن الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ؓ، فان رفع السلاح عليه ومن ثم قتله لم يكن إلا نتيجة مباشرة للتشهير به في الأمصار المختلفة، هذا التشهير الذي كان سبباً مباشراً لاجتماع القتلة، فاقامهم لعثمان ؓ بأنه أتم الصلاة بمكة وكانت لا تتم لم يكن منهم إلا قولاً.

(١) سورة الحجرات الآية ٩.

(٢) ينظر: منهاج السنة النبوية (٣/٣٩١).

(٣) ينظر: شرح السنة (١/٢٩)، وطبقات الحنابلة (٢/٢٢٢).

(٤) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٨/١٠٤)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٢/٤٧٤)، قال الألباني في ظلال الجنة (٢/٤٧٤)، وإسناده جيد، ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر.

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة حديث (١٠١٧، ١٠١٨)، وأحمد (٥/٤٢) و (٥/٢٠٧٠) و (٥/٤٨) و (٢٠٧٦٩) والترمذي في السنن رقم (٢٢٢٤).

واتهامهم له بأنه حمي الحمي^(١) لم يكن منهم إلا قولاً.
 واتهامهم له بأن القرآن كان كتباً فحرقها إلا واحد لم يكن منهم إلا قولاً.
 واتهامهم إياه أنه استعمل الأحداث لم يكن منهم إلا قولاً.
 واتهامهم إياه بأنه رد الحكم بن العاص لم يكن منهم إلا قولاً.
 واتهامهم إياه بأنه أعطي بن أبي السرح ما أفاء الله عليه لم يكن منهم إلا قولاً.
 إلى غير ذلك من الاتهامات الباطلة التي رد عثمان عليها جميعاً وفندها، إلا أن الحثالة من الناس والغوغاء وجدوا في هذه الأقوال بغيتهم وتحقيق مآربهم، الأمر الذي أدى في النهاية لأشهر واطلم واجهل خروج في التاريخ علي حاكم شهد له رسول الله ﷺ بأنه من أهل الجنة وهو يمشي علي الأرض واخبر بشهادته وهو بين ظهرائي الناس.
 وليت شعري لو لم يتذكر الناس من مناقب عثمان ؓ إلا هاتين لكفي بهما رادع ومانع من الخروج عليه لكن هذا حال العوام والجماهير يقدمون أمر بطونهم وفروجهم على أصوات عقولهم إذا وجد من يزكي إضرار النار في الرماد.
 لا شك كما قدمت أن هذا منهج الإخوان، ولأنهم من رؤوس الجهال لاسيما في العقيدة والفقه اللذين هما مفتاح كل خير تجدهم لا يبالون أبداً بما يقدمون عليه من التشهير بولاية الأمور والقذح فيهم علي رؤوس الأشهاد، فهم مساكين لا يعلمون أن ما يقدمون عليه اخطر أنواع الخروج علي ولاية الأمور وما ذاك إلا لبعدهم عن تحصيل العلم الشرعي المنضبط بل والتشهير بمن يلزم ركب العلماء رغبة منه في أن يمتلك الميزان الصحيح للحكم علي الأمور ووزن الأحداث بميزان الكتاب والسنة علي صاحبها أتم الصلاة وأزكى التسليم.

المبحث الثاني: الإخوان المسلمون والعنف في ميزان السياسة الشرعية:-

المطلب الأول: موقف الإسلام من العنف:-

تعريف العنف:-

١ - العنف في اللغة:-

العنف بالضم ضد الرفق، منه عَنف عليه بالضم عنفاً، وعَنف به أيضاً، والتعنيف واللوم، وعنفوان الشيء أوله^(٢).

(١) الحمي: المرعي يحرم علي الناس الرعي فيه، وقد حماه بن الخطاب لابل الصدقه وزاد فيه عثمان لما زاد عددها في عهده، وكان فيما

يظهر أن الناس ظنوا أنه لم يحمها لابل الصدقه فقط بل ولإبله وخيله وإبل بني أمية، وقد أبان أهمل ابل الصدقه

(٢) ينظر: مختار الصحاح، محمد أبي بكر عبدالقادر الرازي، ص (٤٥٨)، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، ص

(٤٣٢).

٢ - العنف في الاصطلاح:-

قال المناوي (رحمه الله): (العنف هو عدم الرفق، وإذا كان قد عرف الرفق بأنه حسن الانقياد لما يؤدي إلى الجميل، فإن العنف يمكن تعريفه بأنه سوء الانقياد الذي يؤدي إلى القبيح)^(١). وتعريف المناوي يعد دقيقاً؛ إذ يشير إلى العنف المؤدي إلى القبيح؛ لأنه ربما أدى العنف إلى إصلاح، أو كان طريقاً للصالح، كأخذ الحاكم رعيته بالشدة ليستقيم أمرها على الجادة، مثلما أثر عن عمر بن الخطاب ؓ الذي كان يشتد على الرعية، كما كان يأخذ نفسه بشيء من العنف، ويقسو عليها في محاسبتها على النقيير والقطمير، وتمتد تلك القسوة وذلك العنف إلى أهله. ويأخذ تعريف مجمع اللغة العربية النهج نفسه حين يصفه بتنفيذ إجرامي، فقد جاء في تعريف المجمع للإرهاب الذي هو قرين العنف بأنه: (العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيا على الإنسان في دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحراية وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأماكن العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله ﷻ المسلمين عنها. موقف الإسلام من العنف:-

تكاد تكون الفكرة القائلة بأن العنف شيء فطري في الإنسان راسخة حتى إنها لم تتحول فيما تحول من أفكار وقضايا من التفكير الحديث إلى التفكير ما بعد الحديث - على حد تعبير باربارا ويتمر - التي تقول عن تلك الفكرة: (لكن الذي لم يتبدل هو الفكرة القائلة إنه مثلما يمتلك الآدميون المقدرة على التفكير الصرف، فإن لديهم المقدرة على العنف الصرف، لا بل إن العنف أصبح فطرياً عند الناس)^(٢).

وإلى جانب الاستعداد الفطري فإن البيئة المحيطة لها نصيب من إذكاء هذا العنف، وهو ما يعرف بالعنف المكتسب، فقد تنهض البيئة والظروف المحيطة بداية من الأسرة والنشأة إلى المجتمع الخارجي بلون من العنف؛ إذ المصادر الثلاثة للعنف المكتسب قد اعتمدت على البيئة بشكل واضح والتأثر بها، إذ إنه: (يمكن اكتساب سلوك عدواني من ثلاثة مصادر رئيسة في الثقافة المعاصرة، المصدر الرئيس هو العدوان، الذي يحاكي أفراد الأسرة ويتعزز بهم، فالعنف الأسري

(١) ينظر: الإرهاب والعنف والتطرف في الكتاب والسنة، د. رقية بنت محمد المحارب، ص (٧).

(٢) ينظر: الأنماط الثقافية للعنف، باربارا ويتمر، ص (١٩).

يعزز أنماط سلوك عدواني، كما يظهر في التشابه في ممارسات الإساءة إلى الأطفال عبر الأجيال... المصدر الثاني للعدوان المقلد هو الشبكة الاجتماعية التي تقع فيها العائلة، إن ثقافة التفاعل اليومي المتفرعة هي أرضية محاكاة مؤثرة، لأن أعلى نسبة حدوث العدوان تحصل في الجماعات التي تكثر فيها النماذج العدوانية، أما المصدر الثالث فهو وسائل الإعلام، حيث أن العنف التلفزيوني يعلم أنماط سلوك عدوانية ويغير قواعد السلوك العدواني ويقلل حساسية الناس نحو العنف ويعودهم عليه^(١).

موقف القرآن من العنف:-

العنف سلوك يعتمد على الخشونة والغلظة وهو نقيض الرفق واللفظ واللين، وإذا كان العنف سلوكا وخلقاً يصدر من شخص أو من جماعة، فإن مسألة الخلق في الإسلام محسومة، وإيثار طريق الرفق هو ديدن الإسلام وشريعته، وقد امتدح الحق تعالى نبيه بعظمة خلقه (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤))^(٢).

ثم بين فضل ربه عليه ورحمته وأثر طباعه السمحة ٣ في استجابة القوم لدعوته، ونصرهم لدين الله، والتفافهم حول الدعوة، بأنها رحمة الله برسوله أن يكون لين الجانب، ليس بغليظ القلب، وهذا هو طريق الإسلام ووسيلته إلى تأليف القلوب، بقول الله U (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩))^(٣).

ثم بين الحق U منهج النبوة في الدعوة إلى الله، تنص عليه آية صريحة تبين وسيلة الدعوة، ونهجها. قال الله U (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥))^(٤).

ثم يحمل القرآن على العنف ويذم القسوة، ويدين الغلظة والخشونة، فيذم الحق تعالى بني إسرائيل لخروجهم على العهد ونقضهم الميثاق، وذلك لقسوة القلب.

قال U (فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣))^(٥).

(١) ينظر: السابق، ص (٦١، ٦٢).

(٢) سورة القلم: الآية (٤).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

(٤) سورة النحل: الآية (١٢٥).

(٥) سورة المائدة: الآية (١٣).

وسلوك القسوة كان صفة من رفض الإذعان للحق قال الله U (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤))^(١). بل نجد القرآن الكريم يغلظ العقوبة لأصحاب القلوب القاسية فيقول الله U (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢))^(٢).

وقد بين القرآن في وضوح لا يقبل الشك أن طريق الهداية لا يعرف العنف، ولا يسلكه، وما كان لعقيدة مكانها القلب، وقوامها الإخلاص، وأساس عباداتها النية أن تنتشر بالقوة، أو تتكى على العنف، أو تعرف سبيل الغلظة، وقد نصت الآية صراحة أنه (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦))^(٣).

موقف السنة الشريفة من العنف :-

ويأتي الحديث النبوي ليحث على الرفق ويمتدحه، ويبين مكانته وأثره، وفي المقابل يذم العنف والغلظة.

عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال " ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار على كل قريب هين لين سهل"^(٤) فجعل الجنة جزاء لمن يؤثر طريق الرفق، وينأى عن الغلظة والعنف.

وقد كان النبي ﷺ خير من يطبق التنزيل، فقد (كان قرآنا يمشي على الأرض). فكان رفيق النبي ﷺ في توجيه الناس، ودعوتهم بالحسنى، وتأليف القلوب، واضحا بينا، فحين أتاه فتى يسأله أن يرخص له في الزنا، فما كان منه ﷺ رغم بشاعة المطلب، إلا أنه ترفق به ووجهه، ونصحه كما في الحديث.

روى أحمد في مسنده عن أبي أمامة t قال: إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا مه مه فقال (ادنه)، فدنا قريبا قال: فجلس قال: (أتحبه لأملك؟)، قال لا والله جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)، قال: (أفتحبه

(١) سورة البقرة: الآية (٧٤).

(٢) سورة الزمر: الآية (٢٢).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٥٦).

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٤٥) (٣٧٠/٤) حديث (٢٤٨٨)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وهناد في الزهد (٥٩٦/٢) حديث (١٢٦٣).

لابتك؟)، قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لبتناهم)، قال: (أفتجبه لأختك؟)، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لأخوانهم)، قال: (أفتجبه لعمتك؟)، قال لا والله جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لعماتهم)، قال: (أفتجبه لخالتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم)، قال: فوضع يده عليه وقال: (اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه) فلم يكن ذلك الفتى يلتفت إلى شيء بعد ذلك^(١).

والأمثلة كثيرة في هذا الباب، منها رفيقه بالأعرابي الذي بال في مسجد النبي ﷺ وكاد أن يفتك به الناس.

روى البخاري في صحيحه بسنده، عن أبي هريرة: (أن أعرابيا بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم رسول الله ﷺ "دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبا من ماء أو سجلا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"^(٢)).

وفي رده على عمر حين كاد يبطش بالأعرابي الذي أتى يطلب ديننا، حيث قيل إن زيد بن ثعنة جاء يختبر حلم رسول الله ﷺ قبل أن يسلم، فاحتال لأن يتعامل معه، ثم جاء قبل موعد القضاء بيومين يطلب حقه، فيقول فيما رواه ابن حبان: "فأخذت بمجامع قميصه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت: ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فو الله ما علمتكم بني عبد المطلب - بمطل ولقد كان لي بمخالطكم علم.

قال: ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره. وقال: أي عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتفعل به ما أرى؟ فو الذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي هذا عنقك ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة. ثم قال: "إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا من غير مكان ما روعته"^(٣).

فانظر إلى حلمه ﷺ في مواجهة العنف والغلظة، وفي حلمه مع الأعرابي الذي جاء يطلب الصدقة بغلظة قائلا: إنه ليس مالك ولا مال أبيك

عن أبي هريرة، قال: "كان النبي ﷺ يجلس معنا في المجلس يحدثنا فإذا قام قمنا قياما حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه فحدثنا يوما فقمنا حين قام فنظرنا إلى أعرابي قد أدركه فجبهه

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥٦/٥) برقم (٢٢٢٦٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٦٢/٨) برقم (١٩٦٩)، والبيهقي في شعب

الإيمان (٣٦٢/٤) برقم (٥٤١٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤١/١) برقم (٤٣)، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٩٠/١٩)، رقم (٥٦٦٣).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن (٥٢/٦).

بردائه فحمر رقبته قال أبو هريرة وكان رداء خشنا فالتفت فقال له الأعرابي: احمل لي على بعيري هذين فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك فقال النبي ﷺ لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله لا أحمل لك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني فكل ذلك يقول له الأعرابي والله لا أقيدكها فذكر الحديث قال ثم دعا رجلا فقال له احمل له على بعيره هذين على بعير شعيرا وعلى الآخر تمرا ثم التفت إلينا فقال انصرفوا على بركة الله تعالى^(١).

فقد كان منهج الإسلام إذن في الدعوة أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نهج الرأفة واللين، فإن الله ﷻ يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وفي الحديث: "يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه"^(٢).

المطلب الثاني: ممارسة الإخوان للعنف عمليا:-

لقد كان الإخوان المسلمون ولا يزالون ذوي فكر عميق ونظر بعيد، إذ فطنوا إلى مواطن القوة ودرجاتها، وأدركوا أن أول درجات القوة العقيدة، وتليها قوة الوحدة والارتباط، وتتبعهما القوة المادية المتمثلة في قوة الساعد والسلاح، والأخيرة عندهم هي الأجدى، إذ لا يجدي لديهم قوة سواها، بل ذهب الإخوان إلى ما هو أبعد من ذلك، فقد زعموا أن جماعتهم لا يحميها إلا العنف، وأنه لا مانع من استخدام الأعمال القتالية ما دام ذلك سيحقق أهدافهم، ويبقى على قوة الجماعة، ويعمل على استمرارها.

ومن الوقائع التي تؤكد عنف الإخوان، ما ذكره محمود عبد الحليم في كتابه (الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ) أن رئيس الجهاز السري للإخوان عبد الرحمن السندي هو الذي دبر قتل نائبه سيد فايز ويقول: (وقد ثبت ثبوتا قاطعا أن هذه الجريمة الأثيمة كانت بتدبير السندي)^(٣).

وها هو الأستاذ محمود الصباغ يورد نصوص لائحة الجهاز الخاص الجهاز السري لجماعة الإخوان فيقول (إن أية خيانة، أو إفشاء سر بحسن قصد، أو بسوء قصد يعرض صاحبه للإعدام وإخلاء سبيل الجماعة منه، مهما كانت منزلته، ومهما تحصن بالوسائل، واعتصم بالأسباب التي يراها كفيلة له بالحياة)، بل إنه يعطي لنفسه ولزملائه الحق في القتل المباشر دون إذن من القيادة إن أعضاء الجهاز يمتلكون - دون إذن أحد - الحق في اغتيال من يشاءون من خصومهم السياسيين، فكلهم قارئ لسنة رسول الله ﷺ في إباحة اغتيال أعداء الله.

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٧/٤)، كتاب الأدب، باب: في الحلم وأخلاق النبي ﷺ حديث (٤٧٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٠٣/٤) كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق (٢٥٩٣/٧٧).

(٣) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، محمود عبد الحليم.

ونلاحظ أن (خصومهم) هم أعداء الله وبياح اغتيالهم.

بل إن الأستاذ الصباغ يغالي فيقول إن قتل أعداء الله - أي خصوم للجماعة - هو من شرائع الإسلام، ومن خدع الحرب فيها أن يسب المجاهد المسلمين وأن يضلل عدو الله بالكلام حتى يتمكن منه فيقتله، ويحسن أن نشير إلى أن الأستاذ مصطفى مشهور مرشد الجماعة السابق هو صاحب مقدمة هذا الكتاب.

والذين يتصورون أن الأستاذ سيد قطب أستاذ (التكفير) والذي انبثق من فكره كل دعاة الإرهاب المحدثون - إلى درجة أنهم يسمون بالقطبيين - كان شاردا عن خط الجماعة واهمون.. هو فقط وضع كلمات في موضعها الواضح، ولم يتلاعب بالألفاظ كما فعل سابقوه. ولعل وضوح وصراحة سيد قطب قد دفعت كثيرا من الإخوانيين إلى القول - تقية - إن سيد قطب قد تباعد عن فكر الجماعة^(١).

المطلب الثالث: قضايا العنف التي اتهم فيها الإخوان:-

إشكالية المسلمين في عصرنا تتركز في التطرف الذي يتخذ من العنف سبيلا، ومن التعت مسلكا، فليس الإسلام هو المشكلة، لكن تلك الفئات التي افتاتت على الدين، وأخذت جانب القسوة، وآثرت طريق العنف لفرض فهم معين، أو نظرية محددة، تواجه بها تراخي المجتمع وضعفه، وتحاول من خلالها بناء أيديولوجية في مواجهة الآخرين.

ومن ذلك سلوك الإخوان في أكثر من قضية وأبرز تلك القضايا ما يلي:

قضية اغتيال النقراشي باشا:-

وقعت الحادثة في يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨، وقبض فيها على الجاني عبد المجيد أحمد حسن الطالب بكلية الطب البيطري، وقام محمود منصور بك، النائب العام في ذلك الوقت - وكان خادما للنظام الحاكم - بإسناد الاتهام بقتل النقراشي إلى ٢٤ أخا من الإخوان، حيث ضم بعض المتهمين في قضية السيارة الجيب، وقضية حامد جودة، إلى قضية النقراشي. والمتهمون هم:

عبد المجيد أحمد حسن، السيد فايز عبد المطلب، محمد مالك يوسف، عاطف عطية حلمي، سيد سابق محمد، أحمد عادل كمال، طاهر عماد الدين، إبراهيم محمود علي، مصطفى كمال عبد المجيد، مصطفى مشهور مشهور، محمود السيد الصباغ، أحمد زكي حسن، أحمد محمد حسنين، محمد فرغلي النخيلي، عبد الرحمن السندي، محمد حسني عبد الباقي، أحمد قدرى الحارثي، محمد بكر سليمان، أسعد السيد أحمد، محمد سعد السناني، علي محمد حسنين، سعد محمد جبر، محمد محمد فرغلي، محمد إبراهيم سويلم.

(١) ينظر: المقارنة بين عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب، وجماعة الإخوان المسلمين، ص (٢٨).

وقد أسندت إلى المتهمين عدة تهم، هي نفسها التهم التي أسندت إلى المتهمين في قضية السيارة الجيب.

ثم طلبت النيابة بناء على مواد الأحكام العرفية إحالة القضية إلى المحكمة العسكرية. وأحيلت القضية إلى القضاء العسكري بالفعل. وقد أخذ الدفاع على رئيس المحكمة قيامه بدور قاضي التحقيق في القضية مما يبطل هذا التحقيق، وكان للرجل مواقف غريبة أثناء نظر القضية. استغرقت جلسات القضية أقل من شهر (٢٧ / ٨ - ٢٥ / ٩ / ١٩٤٩)، وصدر الحكم فيها بإعدام المتهم الأول، وبأحكام متفاوتة لبعض المتهمين، وبراءة الباقين.

وقد تعرض المتهمون في القضية لتعذيب بشع على أيدي رجال البوليس السياسي، عملاء الإنجليز، فقد جاءوا بمحمد مالك من الإسكندرية موثوق اليدين والرجلين، وتعرض لضرب مبرح على أيدي الضباط، وداسوا على وجهه بالأحذية... وكان يغشى عليه من شدة الضرب بالكراييج، وقد أعدوا له حجرة تعذيب، كانوا يرغمونه على الوقوف داخلها بالساعات، وكانوا يتركونه دون اغتسال بالأسابيع. ولما عرض على رئيس المحكمة وكان جسمه ينزف من كثرة الجروح وحاولت والدته الحديث، أسكتها رئيس المحكمة.

والأمر نفسه حدث مع محمد نايل، حيث أشرف إبراهيم عبد الهادي بنفسه على تعذيبه. كما تعرض عبد الفتاح ثروت لأقسى أنواع التعذيب، بحرمانه من النوم ومحاولة تحطيم أعصابه حيث صار لا يقوى على الوقوف أو الحركة.

وقد حقق مع البنا عقب الحادث، ثم أفرج عنه حيث لم تثبت صلتة بما حدث. لقد قتل النقراشي نفسه، يوم تولى كبر إضرام النيران في وطنه، بحل جماعة الإخوان، واضطهاد أفرادها وتعذيبهم وقطع أرزاقهم، ويافساد الحياة السياسية ودق الأسافين بين الفصائل والتيارات المختلفة.. فلم يكن قتله نتيجة تدبير سابق أو استعداد متقدم، بل كان وليد حالة نفسية خلقتها حكمه الإرهابي وإذعانه المشين للاستعمار والملك. لقد اتهم النقراشي بالاعتداء على الإسلام حين حل الجمعية، وكان هذا هو العامل الفرد الذي أذكى فكرة الالتجاء إلى العنف كوسيلة سياسية، وهي فكرة شارك الجماعة فيها غيرها. لقد كان على من يتصدى لحكم مصر أن يتحلى بكثير من الشجاعة، إذ كانت مشكلته أعظم من قضية الإخوان المسلمين.. لقد كانت الحقائق تلقي بظلالها على النقراشي بالعمالة للإنجليز، في مواقفه المتعددة من حوادث كوبري عباس في ٩ فبراير سنة ١٩٤٦ على أيدي الشرطة المصرية تحت إشراف البريطانيين، ثم موقفه

كذلك من المظاهرات التي قام بها طلبة الجامعة ضد محادثات الهدنة المقترحة لحرب فلسطين في ٤ ديسمبر عام ١٩٤٨^(١).

قضية اغتيال الخازندار:-

وقع هذا الحادث في ٢٢ فبراير ١٩٤٨، على يد اثنين من شباب الإخوان، هما محمود زينهم وحسن عبد الحافظ، انتقاماً منه، لإصداره أحكاماً قاسية على مجموعة من الشباب بسبب قيامهم بنسف النادي الإنجليزي بالإسكندرية، وفي الوقت نفسه أصدر حكماً بسيطاً على المجرم حسن قناوي، سفاح الإسكندرية، الذي كان يستدرج الأطفال ويقترب معهم الفاحشة ثم يقتلهم.

لقد أصدر قائد الجهاز السري (عبد الرحمن السندي) أوامره بقتل القاضي، دون الرجوع إلى البناء، بعدها تعرف أفراد الجهاز على عنوانه، حيث قام حسن عبد الحافظ بإطلاق ثلاثة رصاصات عليه أمام منزله بمنطقة حلوان، ولكنه أخطأه، فقام زميله محمود زينهم - الذي كان يغطي هروبه - بطرحه أرضاً، حيث كان بطلاً في المصارعة اليابانية، وأفرغ فيه مسدسه، فقتله، وهرب الاثنان إلى جبل المقطم، ثم قبض عليهما، وقد أنكرا معرفتهما بالحادث أو الاشتراك فيه.

لقد تأثر المرشد بهذا الحادث تأثراً بالغاً، وحزن حزناً شديداً يقول د. محمود جامع: في كتابه: (وعرفت الإخوان): (قال لي المهندس حلمي عبد الحفيد ويشهد الله أن حسن البناء لم يعلم بهذا القرار، وبالتالي لا أوصى به، ولا وافق عليه. بل تبرأ إلى الله منه، وعنف عبد الرحمن السندي تعنيفاً شديداً).

وعلى إثر الحادث استدعى فضيلته الإخوة: الدكتور عبد العزيز كامل والدكتور حسين كمال الدين والمهندس حلمي عبد الحفيد - أعضاء مكتب الإرشاد - وقال لهم احكموا بيني وبين عبد الرحمن السندي في هذه القضية.

ثم وجه السؤال لعبد الرحمن قائلاً: من الذي أمر بقتل المستشار أحمد الخازندار؟

فرد السندي قائلاً: فضيلتك فأندهش المرشد وقال أنا؟! كيف؟

فقال السندي: عندما حكم المستشار على شباب الحزب الوطني بأحكام غاية في القسوة بسبب اعتداءاتهم على الجنود الإنجليز بالمتفجرات ولأنه قال في حشيات حكمه إن الإنجليز أصدقاء لمصر وفي نفس الجلسة حكم بالبراءة على سيدة عذبت خادمتها عذاباً وحشياً، فقلت لفضيلتكم: ألا

(١) الإخوان والعنف، قراءة في فكر وواقع جماعة الإخوان المسلمين، لعامر شماخ (١٢٢-١٢٤)، في قافلة الإخوان المسلمون، لعباس السيسى (٢٢٤).

يستحق هذا المستشار القتل؟ فلم ترد علي فضيلتكم فاعتبرت أن سكوتكم موافقة على التنفيذ وأمرت بتنفيذ العملية.

فصرخ حسن البنا قائلاً: من علمك هذا يا عبد الرحمن؟

فرد قائلاً: هذه أصول النظام السري، ويكفي أن يكون الأمر بالإشارة.

فقال المرشد: وأي شيطان علمكم ما تدعون أنها أصول؟ فلا هي في الشرع أو الدين أو مذهب ولا سمعنا بهذا في أي نظام.

ثم وجه المرشد الكلام لنا قائلاً: اشهدوا على ما أقول هذه الجريمة في عنق السندي وهو الذي سيسأل عنها بين يدي الله أما إذا أنا أردت تنفيذ شيء كهذا فلا بد أن آخذ موافقة قادة النظام الخاص مجتمعين ثم أكتب أمراً بخطي وتوقيعي للمستول لكي أحاسب في الدنيا على ما أمرت به وآخذ جزائي ولا يسألني الله U في الآخرة عن عمل كهذا.

ثم قال: حرام عليك يا عبد الرحمن لقد أسأت للدعوة إساءة بالغة (أودي وشي فين) من رجال القانون الذين يؤيدون الدعوة ويقفون بجانبها (أودي وشي فين) من المستشار حسن الهضيبي.

لقد كان البنا يؤكد لإخوانه دائماً، أن القضاء المصري هو الركن الشديد الذي تأوي إليه الجماعة في أوقات الأزمات. لقد تركت هذه الجريمة أثرها في نفوس الرأي العام وتركت أثراً بالغاً في نفوس الإخوان، وفي نفس مرشدهم على الأخص^(١).

قضية مقتل سيد فايز:-

بعد تولي المستشار حسن الهضيبي قيادة الإخوان، واستقرار الأمور الداخلية له، بدأ يتخذ خطوات عملية لحل النظام الخاص، كان المرشد مقتنعاً بهذا القرار، خاصة أن قادة من التنظيم، يؤيدون قرار الحل، وعلى رأسهم سيد فايز وكمال القزاز ومحمد شديد.

كان السندي في السجن عندما تولى الهضيبي قيادة الإخوان، فلما خرج امتنع عن مبايعته بعدما علم أن في نيته حل النظام الخاص، وقد أشاع بين أعضاء التنظيم أن المرشد دخیل على الجماعة، ولا يؤمن بالجهاد منهاجاً لتربية الإخوان وقد ظل فترة على هذه الحال حتى طمأنه بعض الإخوة بأن الهضيبي يفهم الإسلام كما كان يفهمه حسن البنا، وأنه يسير على خطاه فاقتنع بما قاله الأخ، وبايع المرشد.

ولما كان الهضيبي قد بدأ في اتخاذ خطوات لحل التنظيم، أحس السندي أنه سوف يتم استبعاده لا محالة، خاصة أن أخباراً تصل إلى المرشد وقيادة الجماعة، كل يوم، تفيد اتصال

(١) الإخوان والعنف، قراءة في فكر وواقع جماعة الإخوان المسلمين، لعامر شمش (١٣٣-١٣٥).

السندي بعبد الناصر ورفاقه، وأن غرضهم إزاحة المرشد من قيادة الجماعة، باعتباره العقبة الكئود أمام تطلعات عبد الناصر والضباط الأحرار وقد قام السندي ببث الإشاعات بين رجال التنظيم، وتحريضهم ضد القيادة ومكتب الإرشاد، ولما حاول بعض الإخوة إثناءه عن هذه الأفعال، لم يستمع له، بل صار أكثر جرأة وحدة، ولم يجد الهضيبي بدا من فصل السندي، وتعيين يوسف طلعت لرئاسة التنظيم، وبدأ يوسف طلعت في الاتصال بأعضاء التنظيم، فلم يفلح، لأن مفاتيح التنظيم كانت في يد السندي وأحمد عادل كمال، فحاول سيد فايز القيام بهذه المهمة، مما أثار السندي، معتبرا ما قام به فايز مخالفا للشرع، إذ أعطى نفسه الحق -حسب زعمه- في كشف سرية تنظيم جهادي، فهو بالتالي يستحق القتل، كما لم ينس السندي لفايز ما قام به من طرح فكرة حل التنظيم على المرشد، واقتناع المرشد برأيه وقيامه باتخاذ خطوات عملية لتنفيذ هذا الأمر.

وفي يوم الخميس ٢٠ نوفمبر ١٩٥٣، وفي الساعة الثالثة بعد الظهر، حمل أحد الأشخاص إلى منزل سيد فايز هدية (حلاوة مولد)، بداخلها شحنة ناسفة، تسلمتها شقيقته، وادعى حاملها أن اسمه كمال القزاز (لاحظ أن القزاز هو أحد ثلاثة رأوا ضرورة حل النظام الخاص) حتى إذا حضر فايز، انفجرت العبوة الناسفة، لتقتله هو وشقيقته، وتصاب أسرته بجروح، ويقع حائط المنزل بالشارع.

لقد فهم - ضمنيا - عدد من الإخوان زاروا السندي بعد مقتل فايز، أنه هو الذي دبر الحادث، وهؤلاء هم: محمود الصباغ، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ السيد سابق. وقال سيد عيد يوسف -أحد رجال النظام الخاص- (إن أحمد عادل كمال زاره في بيته ولم يكن موجودا، وترك له حقيبة بها أوراق مهمة (جوازات سفر بدون أسماء، وتقارير لمخابرات الإخوان عن حركة الجيش، وتحركات السفارتين البريطانية والأمريكية، وتقارير عن تحركات الشيوعيين)، كان ذلك يوم الخميس ٢٠ نوفمبر، الساعة الثانية عشرة ظهرا، وقد أدركت أنه أتى بهذه الأشياء، لأنه يخشى من تفتيش بيته، وقد ارتبط ذلك في ذهني بحادث سيد فايز).

الغريب أن الحكومة حين باشرت التحقيق في القضية، باشرته بتثاقل مريب، ولو أرادت أن تصل إلى الجاني لوصلت إليه، بالضغط على أحمد عادل كمال، الذي يعرف عن الحادث كل شيء، لكنها لم ترد ذلك وقتها، ولم ترده أيضا عام ١٩٥٦ حينما فتحت ملفات القضايا القديمة بلا استثناء، فيما عدا هذه القضية، لأنها لو فتحتها.. فقد دانت نفسها^(١).

(١) الإخوان والعنف، قراءة في فكر وواقع جماعة الإخوان المسلمين لعامر شماخ (١٣٨-١٤٠).

قضية محاولة الاعتداء على حامد جودة:-

لقد كان اغتيال حسن البنا، بشخصيته المبهرة، وزعامته التي لا تقارنها زعامة أخرى كما يعتقد الإخوان، كفيلا بصب جام غضب شباب الإخوان على من قام بهذا الاغتيال لقد بدأت وقائع الحادث تلوح في قلوب الإخوان بعد أن حمل حسن البنا إلى قبره، في وقت كانت فيه قلوب الإخوان المسلمين في أنحاء العالم، تغلي كمرجل أجهدهته نيران الحسرة على فقد رائد الحركة الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري.

فلم تستطع هذه القلوب أن تخفي أحزانها حينما بدا لهم اشتراك إبراهيم عبد الهادي في حادث اغتيال البنا، بالإضافة إلى الملك الذي تخلف منذ الحادث عن أداء صلاة الجمعة مع الجمهور، وضاعف إبراهيم عبد الهادي من الاحتياطات الأمنية حول شخصه، وبدأت حملة ضد الإخوان وقتئذ، ولم يحتمل الإخوان فقد المرشد من بين ظهرانيهم، بعد التكيل برجال الجماعة في السجون والمعتقلات، فكان الرد المنتظر على هذا الحادث، هو قتل إبراهيم عبد الهادي، الذي قدم رأس المرشد هدية لفاروق يوم احتفاله بعيد جلوسه على العرش^(١).

وهكذا فكر بعض رجال النظام الخاص في تدبير قتل إبراهيم عبد الهادي، الذي كانوا يعدون حكمه امتدادا لحكم النقراشي، إن لم يكن أكثر عنفا وتطرفا منه.

ويروي أحد الذين اقموا في هذا الحادث وقائعه فيقول: إنه والإخوة المشتركون معه استأجروا شقة على الطريق بمصر القديمة تشرف تماما على الطريق الذي يمر به موكب إبراهيم عبد الهادي من منزله في المعادي إلى رئاسة الوزارة بلاطوغلي ذهابا وإيابا وعرضت فكرة قتل إبراهيم عبد الهادي وحده دون المساس بموكبه، لذا استقر التفكير على أن يقود مصطفى كمال عربة تنطلق مندفعة من شارع بجوار الشقة المستأجرة حيث تكون مجهزة بعبوات ناسفة يتحقق بها نسف عربة إبراهيم عبد الهادي والعربة التي يقودها مصطفى كمال.

ولكن يبدو أن مصطفى كمال خشي أن يكون هذا القتل انتحارا، ورغب أن يشترك في معركة سافرة مع حراس الموكب.

وعرضت خطة جديدة تتلخص في مهاجمة الموكب بمجموعة مسلحة تنتظره في الشارع الذي يسير فيه، فضلا عن إلقاء القنابل على الموكب من الشقة المطلة على الطريق وضربه بأسلحة نارية من أعلى هذه الشقة.

وحاول أحد الإخوة مناقشة هذه الخطة مع المسئول بحضور الأخوين علي رياض وعز الدين إبراهيم اللذين كانا يشاركانه رأيه بخطأ هذه الخطة لأن المنطقة آهلة بالسكان خاصة أن الترام يمر

(١) السابق.

بالشارع الذي يمضي فيه الموكب، وأن ذلك سيضطربهم إلى التضحية بأبرياء كثيرين مما يجافي الشرع. وأن الأفضل هو قتل إبراهيم عبد الهادي بالأسلوب الذي قتل به النقراشي.

ولكن بينما كان الموضوع ما زال يجري بحثه ومناقشته ولم يصدر به قرار من المسئول بعد، سارت الأمور بالصورة التي جرت عليها بإلقاء القنابل على الموكب. وتبين أن إبراهيم عبد الهادي لم يعد بموكبه ولكن الذي عاد كان حامد جودة رئيس مجلس النواب الأسبق، ولم يصب بسوء لأنه استلقى في دواصة العربة ونجا بسيارته التي أسرع قائدتها بالفرار، ولكن جرح الكثير من المارة وقتل سائق عربة كارو كانت بجوار الموكب، وفر الذين اشتركوا في الحادث بعد أن ألقوا بأسلحتهم، ولم يتمكن مصطفى كمال عبد المجيد من إلقاء سلاحه وقبض عليه ومعه مدفعه، وكان ذلك بداية الخيط الذي أوصل إلى القبض على جميع المشتركين في الحادث.

وتصادف في هذا الوقت موعد عودة إبراهيم عبد الهادي بسيارته إلى منزله بالمعادي، فاستوقفه البوليس فتوجه من فوره إلى قسم مصر القديمة فوجد مصطفى كمال معلقا في إحدى غرف القسم يجري تعذيبه للاعتراف بالمشاركين معه.

وعندما نظرت القضية بعد ذلك استدعي إبراهيم عبد الهادي للشهادة أمام المحكمة، وتقدم الدفاع ببطالان التحقيق بسبب هذه الواقعة، وجاء في حشيات المحكمة بعد ذلك ما يدين سلطات التحقيق، الأمر الذي دعا المحكمة إلى عدم الاطمئنان إلى أقوال المتهمين في التحقيقات.

وقع الحادث يوم ٥ مايو ١٩٤٩، وقدمت النيابة عشرة متهمين في هذه القضية إلى القضاء العسكري وهم: مصطفى كمال عبد المجيد، محمد نجيب جويفل، عبد الفتاح ثروت، فتحي محمد علام، سمير جلال شهنندر، مصطفى محمد الجابري، عبد الكريم محمد السيد، محمد شحاته عبد الجواد، سعيد جلال شهنندر، على صديق السيد فراج.

وقد عرضت القضية على محكمتين عسكريتين مختلفتين، حتى جاءت وزارة الوفد، فأُسندت وزارة التموين إلى رئيس المحكمة، فتأجلت القضية، ولما رفعت الأحكام العرفية أحييت إلى دائرة الجنايات بالقضاء العادي. وفي الجلسة الرابعة وافقت المحكمة على ضم القضية إلى قضية الأوكار واعتبارهما قضية واحدة^(١).

قضية حادث المنشية:-

مساء يوم الثلاثاء ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤، وأثناء إلقاء عبد الناصر خطابا في ميدان المنشية بمناسبة توقيع اتفاقية الجلاء مع الإنجليز يوم ١٩ من الشهر نفسه، أطلقت عليه عدة رصاصات، وقد صاح بعدها بعدة عبارات متشنجة، وحدث هرج وفي خلال ساعات كان آلاف الإخوان،

(١) الإخوان والعنف، قراءة في فكر وواقع جماعة الإخوان المسلمين، لعامر شامخ (١٢٩-١٣١).

الذين لم يعلم كثير منهم عن هذا الحادث شيئاً يودعون المعتقلات وكان قد تم تجهيز السجون من قبل لاستقبال هذه الأعداد الهائلة. وفي المعتقل كانت تؤخذ بيانات الأخ، ثم تنهال عليه الضربات الوحشية المنظمة، ويظل هكذا في زنزانته بلا طعام أو شراب لعدة أيام، مع استمرار التعذيب والتكدير وفي التحقيقات كانت النيابة تقوم بدور مساعد للمباحث، حيث تحول وكلاء ورؤساء النيابة إلى جلادين فاق بعضهم زبانية عبد الناصر من الضباط والجنود.

لقد عاد عبد الناصر بالقطار، من الإسكندرية إلى القاهرة، تستقبله الجماهير الهادرة، التي تأثرت بالدراما المثيرة التي افتعلها على خشبة مسرح الجريمة المزعومة التي بدون أدنى شك ليس للإخوان يد فيها وكانت هذه الجماهير المخدرة تهتف (اقتل اقتل يا جمال، لا رجعية ولا إخوان) فلما عاد إلى القاهرة انهمرت عليه التهاني من كل مكان، بنجاته، وعقدت الاحتفالات وعلقت الزينات، وأطلقت الأغاني لكبار المطربين، فرحة بنجاة (مثال الوطنية) يوم المنشية.

ثم بدأت بوادر الاعتداء على الإخوان وممتلكاتهم، فنظمت المباحث العامة مظاهرة من المجاورين يوم الأربعاء ٢٧ / ١٠ / ١٩٥٤ صباحاً، قامت بإشعال النار في المركز العام للإخوان، وكان حريقاً هائلاً، توجهت إليه عشرات من سيارات الإطفاء، فقام المتظاهرون بقذفها بالحجارة كي يمنعوها من الإطفاء، ثم قاموا بالاعتداء على رجال الإطفاء أنفسهم.

أما تفاصيل الاعتداء على عبد الناصر فقد ذكرتها الصحف صباح يوم الأربعاء ٢٧ أكتوبر وهي باختصار: بمجرد أن أطلق (الجاني) رصاصاته حتى أسرع الجمهور بالقبض عليه وعلى ثلاثة آخرين كانوا على مقربة منه شك الجمهور في علاقتهم به وكاد الحاضرون يفتكون بالأربعة لولا تدخل رجال البوليس والمخابرات الذين قاموا بالقبض عليهم وضبط السلاح الذي أطلقت منه الرصاصات.

وقالت الصحف وقتها: إن الجاني ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين، ويدعى محمود عبد اللطيف، ويعمل سباكاً بمنطقة إمبابة.

وقالت الأهرام: (وقد عثر في المكان الذي كان يقف فيه الجاني على أربعة أظرف فارغة من عيار ٣٦ مم، وهي تختلف عن طلقات المسدس الذي ضبط مع المتهم؛ إذ إن المسدس الذي عثر عليه مع المتهم من نوع المشط الذي لا يلفظ الأظرف الفارغة).

وقالت الصحف وقتها: - إن المتهم اعترف أنه من الجهاز السري للإخوان، وكان مكلفاً باغتيال عبد الناصر، ضمن اغتيال ١٦٠ شخصية أخرى من الضباط الأحرار.

وبعد الحادث بأسبوع (٢ نوفمبر) نشرت الصحف قصة عامل يدعى خديوي آدم، الذي قيل إنه عثر على المسدس الذي استخدمه الجاني في اغتيال عبد الناصر، وأنه التقطه بعدما ألقاه

الجاني على الأرض، وأقسم ألا يسلمه إلا لعبد الناصر شخصيا، ونظرا لأنه عامل فقير، ولا يملك ثمن تذكرة القطار من الإسكندرية إلى القاهرة، فقد قطع المسافة على قدميه، فوصلها أول نوفمبر، وتوجه إلى عبد الناصر بمقر قيادة الثورة، فسلمه المسدس، فأعطاه الأخير مائة جنيه مكافأة وقد اتضح أن المسدس الذي يحمله هذا العامل من عيار ٣٦مم، وقد تعرف الجاني - حسب روايات الصحف أيضا - على مسدسه الذي جاء به خديوي آدم. ولم تذكر الصحف شيئا عن المسدس الذي تم ضبطه في البداية وقالوا إنه من نوع المشط الذي لا يلفظ الأظرف الفارغة.

ولا شك أن حادث المنشية قد قام بترتيبه عبد الناصر نفسه، ولا دخل للإخوان فيه، وإذا كان أحد الإخوان هو الذي قام به، فإن هذا لا يتعدى احتمالين:

الاحتمال الأول: أن ضباط القلم السياسي قد اختطفوا الجاني إلى مسرح الجريمة وأجلسوه في الصفوف الأمامية، ورتبوا باقي القصة، حيث قام أحدهم بإطلاق الرصاصات الثمان التي لم تصب سوى واحد من الحضور، إصابة طفيفة، بينما أصابت اللمبات الكهربائية.

الاحتمال الثاني: أن اتفاقا حدث بين عبد الناصر وهنداوي دوير، رئيس محمود عبد اللطيف في التنظيم الخاص، وقد أقنع دوير عبد اللطيف بالمهمة، واهما إياه بأنه تكليف من الإخوان، طمعا - من جانب دوير - في مركز مرموق أو حظوة لدى عبد الناصر، ومما يؤكد هذا الاحتمال، أن دوير سلم نفسه بعد الحادث مباشرة، متطوعا بالإدلاء بمعلومات خطيرة عن الإخوان، ولو كان مشتركا في الحادث، لحاول الهرب، أو تفادى التطوع بالمعلومات لدى جهات التحقيق، كما يؤكد هذا الاحتمال ما بدا من تردد وجزع من جانب دوير ساعة شنقه - بخلاف ما كان عليه باقي الإخوان الذين أعدموا معه - وقد ورد أنه كان يردد: (ضحكوا علينا ما كنش ده اتفاقنا).

ومما لا شك فيه، أن المرشد العام حسن الهضيبي وقادة الإخوان، لم يكونوا يفكرون في اغتيال عبد الناصر، فالمرشد نفسه استجاب لنداء لعبد الناصر وقام بحل الجهاز السري وأعلن لا سرية في الدعوة وعندما رفض عبد الرحمن السندي حل الجهاز، عزله وعين يوسف طلعت بدلا منه تمهيدا لتصفيته.

ولو أراد الإخوان تنفيذ هذا العمل لقام به إخوان النظام بالإسكندرية، حسبما تقتضي أصول التنظيمات السرية، أو ما هو متعارف عليه من أن (أهل مكة أدرى بشعابها).

ووجود محمود عبد اللطيف في الصفوف الأمامية للحفل، يؤكد وبشدة ترتيب عبد الناصر للحادث؛ فمحمود، معروف لدى جميع أجهزة عبد الناصر، وعبد الناصر نفسه يعرفه معرفة جيدة - حسبما أكده كثير من الإخوان وهذه الأجهزة تعرف جميع شعب الإخوان وتحفظ هياكلهم التنظيمية، بدليل أنها قبضت على الآلاف منهم في ساعات، فكيف والعلاقات متوترة مع

الإخوان، (تسهو) عن اندساس عناصر من الإخوان إلى الحفل، وهذه العناصر ليست من الإسكندرية، بل من القاهرة وتحمل سلاحا، وتدخل به الحفل آمنة مطمئنة!^(١)

قضية محاولة نسف محكمة الاستئناف :-

وقعت هذه المحاولة في ١٢/١/١٩٤٩، أي بعد مقتل النقراشي بأيام، ردا على ما كان يجري من تعذيب للإخوان المتهمين في قضية مقتل النقراشي، وقد قام بالمحاولة شفيق إبراهيم أنس (٢٢ سنة)، وكان يعمل موظفا بأرشيف وزارة الزراعة، حيث وضع عبوة حارقة بجوار الخزانة التي تحتوي على جميع أوراق قضية السيارة الجيب.

وقد أراد أيضا أن ينسف المحكمة انتقاما لما يجري بين جدرانها من تزيف وتلفيق.

وقد تم القبض عليه في ميدان باب الخلق بعدما لاحقه أحد المخبرين من داخل المحكمة حتى الميدان المذكور، علما بأنه لم يصب أحد من المواطنين.

وقد نظرت القضية أمام المحكمة نفسها التي نظرت قضية اغتيال النقراشي ولم تستغرق المحاكمة إلا أياما قليلة، بعدها صدر الحكم على المتهم بالأشغال الشاقة المؤبدة.

وقد أصدر البنا بيانا في اليوم نفسه، بعنوان (ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين) استنكر فيه ما حدث استنكارا شديدا بل يروي صالح حرب باشا، رئيس جمعية الشبان المسلمين وقتها موقفا، يدل على تأثر البنا الشديد لما حدث، يقول: (جاءني الشيخ البنا في حالة من الجزع والفرع، لم يسبق أن رأيته عليها، وقد عقد لسانه، وجف ريقه، وملكه ألم كاد يفقده صوابه وعندما تكلم قال: أرايت هذا المفتون ماذا فعل؟ والله ما هذا الشقي مسلم ولا من الإخوان).

ويتحدث صلاح شادي في كتابه (صفحات من التاريخ) عن انحراف عبد الرحمن السندي عن منهج الجماعة، وقيامه بشكل فردي بتنفيذ هذه الجريمة، دون موافقة أو علم المرشد أو قادة الجماعة يقول: (ويفسر لنا هذا الحادث الذي نفذ في هذا الوقت مدى فقد الشعور بالمسئولية التي كان السندي ينظر من خلالها إلى الأحداث).

ويضيف شادي (ويجدر بي أن أشير هنا إلى أنه قبل هذا الحادث بأشهر قليلة عرفني المرشد بالسيد فايز باعتباره المسئول عن النظام الخاص وكان عبد الرحمن السندي في هذا الحين محبوسا احتياطيا بسبب اتهامه في قضية السيارة الجيب، ورأيت في سيد فايز صنفا من الرجال يحذره الحرس على الالتزام بكل ما يأمر به المرشد وفي نفس الوقت كان يفكر في الأحداث بعقل مستنير يستلهم به الحفاظ على كيان الجماعة، يخدمها بجهد وعزمه ولا يستخدمها لهواه، وكان سيد فايز

(١) الإخوان والعنف، قراءة في فكر وواقع جماعة الإخوان المسلمين لعامر شماخ (١٤٠-١٤٢)، وفي قافلة الإخوان المسلمون، لعباس السيسى (٤٦٩).

يشارك حسن البنا إدراكه خلل روابط السندي بالقيادة، ويعلم أن حسن البنا كانت تشغله قضية الإصلاح، وأن الظروف ربما أتاحت هذه الفرصة بواسطته حيث إنه أصبح مسئولاً عن إدارة النظام تحت إشراف من يوافقه في الفكر والرغبة في الإصلاح، ولذلك فقد حدثني عن كيفية ذلك وعن الصعاب التي يواجهها في نقل الاختصاصات إليه حتى انتهى الأمر إلى الفشل، وكان تخطيطه لهذا الإصلاح سبباً في إيغار صدر السندي عليه.

ووصل إلى علم المرشد عزم السندي على القيام بمحادث إحراق المستندات التي كانت في دولا ب محكمة الاستئناف بميدان باب الخلق، فكلفني بإبلاغ سيد فايز برفض هذه العملية وتأكيد ذلك، بل والالتزام بالهدوء الكامل خاصة أن الجماعة كانت وقتها ما زالت تعاني آثار قتل الخازندار والنقراشي، وأكدت على سيد فايز هذا المفهوم الذي أبلغني أنه أكدته بدوره على إخوان النظام

ولكن السندي كان قد أبرم أمره وهو في السجن بضرورة تنفيذ العملية من وراء ظهر سيد فايز ومن وراء مرشد الجماعة، ظنا منه أن حراق أوراق التحقيق لقضية الجيب فيه إعدام الدليل على التهمة التي تلحق بالأشخاص المدونة أسماءهم في أوراق التحقيقات.

وفي هذا الوقت كان المرشد يحاول الاتصال بإبراهيم عبد الهادي لرفع الحظر عن نشاط الجماعة والإفراج عن أموالها المصادرة، وإطلاق سراح الأعضاء المعتقلين، وشكلت لجنة وساطة من صالح حرب باشا وزكي علي باشا ومصطفى مرعي بك ومحمد الناجي ومصطفى أمين، وكتب البنا نشرة بعنوان (بيان للناس): استهجن فيها حوادث القتل ومن بينها حادث قتل النقراشي، إلا أن إبراهيم عبد الهادي كان في الواقع يريد كسب الوقت ليتمكن من اغتيال المرشد نظير رأس النقراشي.

وفي هذا الجو الملبد بالغيوم وقعت حادثة محاولة نسف أوراق التحقيق بمحكمة الاستئناف وضبط شفيق أنس، وقد أصدر المرشد بيانا آخر قال فيه إن أي عمل يصدر من أي شخص ينتمي إلى الجماعة يعتبر كأنه موجه إليه شخصيا.

وقد فقد المرشد بعد حادث الاستئناف كل سلطان له على قيادة النظام، بعد فشل سيد فايز في ربط خيوط النظام بيده، وأعلن في صراحة أن القيادة بعد أن أصبحت غير قادرة على مزاوله سلطتها، فإن مسئولية حادث المحكمة تقع على عاتق من قاموا به وليس على عاتق الجماعة.

وهكذا فشلت محاولة التغيير التي أراد حسن البنا أن يحققها في رئاسة النظام منذ عجز سيد فايز عن أن يمارس اختصاصه الذي كان يأمل حسن البنا أن يحفه، فوجد نفسه عاجزا عن وضع يده على الرجال والأسلحة والذخيرة والعتاد، حيث كان يملك خيوطها كلها عبد الرحمن

السندي بل زاد الأمر تعقيدا أن قام السندي بتنفيذ عملية المحكمة في الظروف الحالية التي تلت مقتل النقراشي، بالرغم من تأكيد المرشد عليه بعدم القيام بها، فلم يقف السندي هذه المرة عند حد إغفال حق المرشد في الاستئذان منه، ولكن تعدها إلى رفض تلبية أمره والإطاحة بحقه في السمع والطاعة.

وعاجلت المرشد منيته، فلم يستطع أن يتم دوره الذي بدأه في إزاحة السندي عن رئاسة النظام.

وربما تساءلنا عن مدى مسئولية المرشد في إبقاء السندي في موضعه من القيادة، ومدى قدرته على علاج هذا الحاحز القائم بينه وبين أفراد النظام إذا خرج قائده عن طاعته^(١).
قضية الأوكار:-

أهم في هذه القضية كل من رأت الحكومة خطورته من أفراد الإخوان المسلمين، وقد بلغ عددهم خمسين متهما، أسندوا إليهم تهمة اتخاذ (أوكار) جمعوا فيها أسلحة وذخائر ومحطات إذاعة لقلب نظام الحكم ومحاولة قتل إبراهيم عبد الهادي. والمتهمون هم: العشرة المتهمون في قضية حامد جودة التي تم ضمها إلى هذه القضية، أما الأربعون الباقون فهم: حلمي محمد الفيومي، حسين حامد عودة، محمد محمود دعبس، فؤاد أحمد الصادق، عبد الفتاح إسماعيل علم الدين، دسوقي إبراهيم حنيف، أحمد علي يوسف، كمال عبد المجيد مرسى، حسن يوسف طويلة، مصطفى أمين البطاوي، محمد جلال إبراهيم سعده، صالح محمد محمد الجنائني، محمد عبد الحكيم عبد العليم، صلاح الدين أحمد علي، إبراهيم عامر محمد، محمد حلمي الكاشف، إسماعيل علي السيد، جمال الدين عطية محمد، وائل محمد زكي شاهين، مختار حسين إبراهيم، محمود علي حطية، حسن أحمد يوسف، يوسف عبد المعطي شرك، إبراهيم أحمد محرم، محمد طه عبد النبي، عبد الفتاح محمد شوقي، يحيى أمين البطاوي، مصطفى محمد محمود البساطي، سعد محمد جبر التميمي، محمد عبد العزيز علي خالد، محمد عبد المتعال محمد مدني، محمد نايل محمود إبراهيم، محمود يونس الشريبي، عز الدين إبراهيم، عصام الدين حامد الشريبي، يوسف علي يوسف، أحمد محمد البساطي، أحمد نجيب الفوال، بيومي مرسى جعفر، علي أحمد رياض.

ولم يستطع البوليس القبض على ثلاثة من المتهمين، فروا إلى ليبيا، فقد طالبت الحكومة حكومة ليبيا بتسليمهم مهددة بقطع العلاقات إذا لم يسلموا، إلا أن الملك إدريس السنوسي رفض تسليمهم^(١).

(١) الإخوان والعنف، قراءة في فكر وواقع جماعة الإخوان المسلمين لعامر شماخ (١٢٦-١٢٨)، في قافلة الإخوان المسلمون، لعباس السيسى (٢٢٣).

المبحث الثالث: علاقة الإخوان بجمال الدين الأفغاني:-

المطلب الأول: بيان حقيقة الأفغاني الذي ربط الإخوان دعوتهم به:-

في حواشي التاريخ الإسلامي نبتت نوابت شاذة، خارجة عن الإسلام سوغت وحدة الأديان، تمثلت في غلاة الصوفية أرباب القول بوحدة الوجود، والفرق الباطنية السرية كإخوان الصفا، ثم تسلت إلى الفرق الباطنية اللاحقة، كالبهائية، تحمل فكرة التقريب بين الأديان آخر القرن الثالث عشر الهجري على يد مؤسس العصرية الحديثة جمال الدين الأفغاني (١٢٤٥ - ١٣١٥هـ)، وتلميذه محمد عبده التركماني (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ)، بمعاونة نفر من النصارى الإنجليز، والرافضة.

ويذكر أن من أشهر دعاة وحدة الأديان في العصر الحديث جمال الدين الفارسي، والمشهور بالأفغاني، فقد كان له دور خطير في السعي إلى توحيد الأديان الثلاثة^(٢)، وتلقف هذه الدعوة من بعده تلميذه محمد عبده فقد كان له مشاركة في التوفيق بين الإسلام والنصرانية^(٣).

وقد ظهرت الماسونية في مصر على يد بعض اليونانيين والفرنسيين والإيطاليين عام ١٨٦٣م، وقد حاول أنصارهم الترويج لآرائهم بين المثقفين المصريين والصحفيين الشوام، رافعين شعار الحب والإخاء والمساواة والسلام بين البشر، وقد وجدت هذه الآراء قبولا من قبل بعض الصحفيين الشوام الذي نزحوا أيضا إلى مصر منذ نهاية القرن التاسع عشر، أمثال: جورجى زيدان، ويعقوب صروف، وفارس نمر وشاهين ماكربوس وأديب إسحاق، وكذلك استهوت السيد جمال الدين الأفغاني وبعض تلاميذه ومنهم محمد عبده، وعبد الله النديم، وسعد زغلول^(٤).

وقد انضم جمال الدين الأفغاني حين كان في مصر (١٨٧١ - ١٨٧٩م) إلى الحركة الماسونية، أو الحفل الماسوني (البريطاني)، وتبعت تلميذه الشيخ محمد عبده في ذلك^(٥).

وقد استغلت الماسونية ومحافلها لخدمة الأهداف الصهيونية في الشرق، وفي فلسطين خاصة.

(١) الإخوان والعنف، قراءة في فكر وواقع جماعة الإخوان المسلمين لعامر شماخ (١٣١-١٣٢)، في قافلة الإخوان المسلمون، لعباس السيسى (٢٢٩).

(٢) دعوة الأفغاني في ميزان الإسلام، لمصطفى غزال، ص (٢٤١).

(٣) الانتجاهات الوطنية، لمحمد محمد حسين (٣١٩/٢)، والإسلام والحضارة الغربية، لمحمد محمد حسين، ص (١٩٧، ١٩٨).

(٤) ينظر: الماسونية في مصر، أ. على شلش، طبعة سنة ١٩٩٢م، ص (٢٩-٥٢).

(٥) ينظر: الأعمال الكاملة، للإمام محمد عبده (٢٦/١، ٣٩)، وعقري الإصلاح، طبعة الهيئة، ص (١٣٥)، ورائد الفكر المصري، ص (٣١، ٣٢)، وجمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة، ص (١٠١)، وجمال الدين الأفغاني المائوية الأولى ١٨٩٧-١٩٩٧، د. حسن حنفي، دار قباء ١٩٩٨م، ص (٢٦).

المطلب الثاني: الإخوان يعدون جماعتهم امتدادا لدعوة الأفغاني، ويعترفون بتأثرهم به: -

الفرع الأول: التعريف بالأفغاني وبيان مذهبه وعقيدته: -

نسبه وموطنه:

هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر - أو صفدر - بن علي ابن رضي الدين محمد الحسيني بن زين الدين الحسيني القاضي، ابن ظهير الدين محمد الحسيني.
وأما والدته: فهي السيدة سكينة بنت شرف الدين الحسيني القاضي، وهي تنتمي إلى أسرة أبيه، فهي ابنة عمه، لأن والدها كان أخا لرضي الدين محمد الحسيني المدعو شيخ الإسلام.
وقد ولد جمال السيد في بيت عظيم من بلاد الأفغان بقرية (أسعد آباد) من قرى (كنر) التابعة لـ (كابل) عاصمة (أفغانستان)، وكان مولده في شعبان سنة ١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م^(١).

الخلاف في مذهبه وموطنه:

لقد حدث خلاف كبير حول مذهب السيد جمال الدين الأفغاني وحول موطنه الأصلي، أفغاني هو أم إيراني؟ وسني هو أم شيعي؟

فالبعض يرى أنه إيراني وليس أفغانيا، وشيعي وليس سنيا، بينما يرى الأكثرون أنه أفغاني سني، كما اتهمه البعض بالاستبداد حيث ينتقل من بلد لآخر مشيرا للانفعالات السياسية يحاول الوصول إلى الحكم كما قيل إنه ماسوني يهودي وغير ذلك مما نسب إليه^(٢).

والذين يقولون بأنه إيراني شيعي يستدلون بعدة أدلة منها اسم أبيه (صفدر) المكون من (صف) العربية، و(در) الفارسية وهي تعني ممزق أو مفرق، أو ممزق الصفوف، وهذا اللقب كان يطلق على الإمام علي t لشجاعته، وهو اسم خاص بالشيعة، كما أن اسم (عمر) خاص بأهل السنة^(٣).

كما يستدلون بنشأته وأسلوب تحصيله للعلم، حيث بعث إلى طهران لدراسة المذهب الشيعي، وأن عادة الشيعة تعلم الجدل والفلسفة والمنطق، ورحل إلى العراق للدراسة في النجف، مكان قبر الإمام علي t ومركز الدراسات العليا في نظر الشيعة، وتعلم على أحد كبار علماء الشيعة^(٤).

(١) ينظر: جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة، للسيد يوسف، ط الهيئة ١٩٩٩م، ص (١٧)، والإمام محمد عبده، للدكتور عبد الله شحاته، ص (٣٨)، وجمال الدين الأفغاني، فلسفة الجامعة الإسلامية، لسمير حمدان، ط دار الكتاب العالمي ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص (١٥)، والمجددون في الإسلام، د. عبد المتعال الصعدي، ط مكتبة الآداب، ص (٣٧٠).

(٢) ينظر: جمال الدين الأفغاني المائوية الأولى، د. حسن حنفي، دار قباء، ١٩٩٨م، ص (١٦)، وجمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة، ص (٣٠).

(٣) ينظر: جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة، ص (٣٠)، وحقيقة جمال الدين، للدكتور عبد المنعم حسين كته بالفارسية: ميرزا لطف الله خان، وادعى أنه ابن أخته (١٠/١).

(٤) ينظر: السابق (١٤/١)، وجمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة، ص (٣٩).

ويستدلون أيضا باشتراكه في توجيه الأحداث في إيران، وبتحدثه الفارسية باللهجة الإيرانية، وبكثرة إشارات بالـإيرانيين^(١).

بيد أنه قال هو بنفسه في (العروة الوثقى): (لقد نظرت إلى الشرق وأهله فاستوقفني الأفغان، وهي أول أرض مس جسدي تراهما، ثم الهند، وفيها تثقف عقلي، فأيران بحكم الجوار والترابط، وإليها كنت صرفت بعض همتي)^(٢).

تعليمه وأسفاره:

نشأ جمال الدين الأفغاني في منزل والده، وتلقى فيه خطواته التعليمية الأولى حتى سن الثامنة، حيث استظهر القرآن الكريم، وألم بمبادئ اللغة العربية، وانتقل والده إلى (كابل) وهو في سن الثامنة فالتحق ببعض مدارسها القديمة وأخذ عن أساتذتها علوم العربية والتاريخ والإنشاء، والعلوم الدينية والفلسفية على اختلاف أنواعها، وأتقن اللغة العربية حتى كأنه من أهلها، وولع بمناقشة المسائل الدينية، وظهر منه شغف بالشعر العربي ورجاله لا حد له، وولع بالرحلات والأسفار، فما إن أتم العاشرة (١٢٦٤هـ - ١٨٤٨م) حتى هاجر برفقة أبيه إلى قزوين والتحق بمدرستها، وكان مهتما بدراسة العلوم وتأمل النجوم من فوق سطح منزله، وحاول معرفة أسرار مرض الطاعون الذي انتشر في قزوين آنذاك بدراسة جثث ضحاياه حتى خاف عليه والده فانتقل به إلى طهران أوائل سنة (١٢٦٦هـ - ١٨٤٩م)^(٣).

وما إن وصل طهران حتى سأل عن علمائها ومراكز التحصيل فيها، إلى أن اهتدى في أيام قلائل إلى مجلس علم يديره واحد من العلماء البارزين، هو (أقاسيد صادق)، فلما جلس للتعليم عليه أبدى الطالب محمد جمال الدين — الشهير فيما بعد بجمال الدين الأفغاني — براعة في النقاش وسعة في المعرفة، مما جعل (أقاسيد صادق) يستدعي والده ويأمره بشراء عمامة لولده يتعمم بها، تقديرا منه^(٤).

فلما وصل مصر سنة ١٢٨٦هـ ما بين سنة ١٨٦٩ وسنة ١٨٧٠م^(٥) قصد القاهرة،

(١) حقيقة جمال الدين الأفغاني (١٥/١، ١٩، ٢١).

(٢) ينظر: جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة، للسيد يوسف، ط الهيئة، ص (٣٦)، والأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، د محمد عمارة (١٩٦/١).

(٣) ينظر: جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة، ص (١٨)، وجمال الدين الأفغاني، فلسفة الجامعة الإسلامية، ص (١٥، ١٦).

(٤) ينظر: جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة، ص (١٨، ١٩)، والمجددون في الإسلام، ص (٣٧٠)، وجمال الدين، فلسفة الجامعة، ص (١٦، ١٧).

(٥) ينظر: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، محمد عمارة، ص (٢٨ - ٣٠)، وخاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني، ط بيروت، العلمية، ١٩٣١م، ص (٢٢)، وجمال الدين الأفغاني والثورة الجامعة الإسلامية، ص (٢١، ٢٢)، وجمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام، للدكتور محمد عمارة، ط دار الوحدة، بيروت، ص (٤٩).

فأقام فيها أربعين يوماً، تردد فيها على الأزهر، واتصل ببعض أساتذته وطلابه، وشرح لبعض زواره من الطلبة وغيرهم وفيهم الشيخ محمد عبده كتاباً بلغة عربية فصحة طليقة، فأعجبوا به، وتعلق عدد كبير منهم به، ثم رحل الأفغاني إلى (استنبول) عاصمة الخلافة بدعوة من السلطان عبد العزيز، فقربه منه، وأمر بتعيينه عضواً في مجلس المعارف، وطعن في عقيدته بشرة عارمة، وكان في طبعه حدة وشدة، فقابل ثورتهم بمثلها، وطلب محاكمة المدعو شيخ الإسلام حسن فهمي أفندي؛ لأنه طعن في عقيدته، وأصر على طلب المحاكمة، ولم يستمع لمن نصحوه بالهدوء والترفق، حتى اشتدت الفتنة، ورأت الحكومة أنه لا سبيل إلى تهدئتها إلا بترحيله، فأمرته بالرحيل، فرحل إلى مصر ثانية سنة ١٢٨٨هـ - ١٨٧١م، فاحتفل به الخديوي إسماعيل ووزيره رياض باشا حين وصل إلى مصر.

عقيدته:

يعد جمال الدين الأسد آبادي من الشخصيات التي لا يزال الغموض يكتنفها، والسرية تحوط معظم تصرفاتها، إذ كان الأفغاني ذا علاقة مريبة باليهود والنصارى والمرتدين، وصلة وثيقة بالمخالف الماسونية، بل رئيساً لأحدها وهو محفل كوكب الشرق في القاهرة، ولذلك لم يعدم الأفغاني من علماء الإسلام من يفتي بكفره وإحلالة، فقد اتهم الأفغاني بالإلحاد والخروج من ربة الدين عدة مرات والذي يقرأ مؤلفات الأفغاني ورسائله التي كان يرسلها لتلامذته وأتباعه يرى من خلالها أنه كان صاحب عقيدة غير سوية.

وكذلك رسائل تلامذته إليه مما ينضح بالغلو القبيح والشرك الصريح، فمن ذلك رسالة الشيخ محمد عبده إلى أستاذه جمال الدين الأفغاني بتاريخ ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠٠هـ، يقول فيها: ليتني كنت أعلم ماذا أكتب لك، وأنت تعلم ما في نفسي كما تعلم ما في نفسك، صنعتنا بيدك وأفضت على موادنا صورها الكمالية وأنشأتنا في أحسن تقويم، فيك عرفنا أنفسنا، وبك عرفناك، وبك عرفنا العالم أجمعين، فعلمك بنا كما لا يخفك علم من طريق الموجب، وهو علمك بذاتك، وثقتك بقدرتك وإرادتك، فعنك صدرنا وإليك إليك المآب.

أوتيت من لدنك حكمة أقلب بها القلوب وأعقل العقول، وأنصرف بها في خواطر النفوس، ومنحت منك عزمة أتعن بها الثوابت، وأذل بها شوامخ الصعاب، وأصدع بها حم المشاكل، وأثبت بها في الحق للحق حتى يرضى الحق، وكنت أظن قدرتي بقدرتك غير محدودة، ومكنتي لا مبتوتة، ولا مقدورة، فإذا أنا من الأيام كل يوم في شأن جديد.

إلى أن يقول: فصورتك الظاهرة تجلت في قوتي الخيالية وامتد سلطانها على حسي المشترك، وهي رسم الشهامة، وشبح الحكمة وهيكل الكمال، فإليها ردت جميع محسوساتي، وفيها فنيت

مجامع مشهوداتي، وروح حكمتك التي أحبيت بها مواتنا، وأنرت بها عقولنا، ولطفت بها نفوسنا، بل التي بطنت بها فينا، فظهرت في أشخاصنا، فكنا أعدادك، وأنت الواحد وغيبك، وأنت الشاهد ورسمك الفوتوغرافي الذي أقمته في قبلة صلاتي، رقيبا على ما أقدم من أعمالي، ومسيطر علي في أحوالي، وما تحركت حركة ولا تكلمت ولا مضيت إلى غاية ولا انشيت عن نهاية حتى تطابق في عملي أحكام أرواحك؛ وهي ثلاثة فمضيت على حكمها سعيًا في الخير، وإعلاء لكلمة الحق، تأييدا لشوكة الحكمة، وسلطان الفضيلة، ولست في ذلك إلا آلة لتنفيذ الرأي المثلث، وما لي من ذاتي إرادة حتى ينقلب مربعا غير أن قواي العلية تخلت عني في مكاتبتني إليك، وخلت بيني وبين نفسي التزاما لحكم أن المعلول لا يعود على علته بالتأثير على أن ما يكون إلى المولى من رقائق عبده ليس إلا نوعا من التضرع والابتهال لا أحسب فيه ما يكشف خفاء أو يزيد جلاء، ومع ذلك فإني لا أتوسل إليك في العفو عما تجده من قلق العبارة وما تراه مما يخالف سنن البلاغة بشفيع أقوى من عجز العقل عن إحداق نظره إليك وأطرق الفكر خشية منك بين يديك، وأي شفيع أقوى من رحمتك بالضعفاء وحنوك لمغلوبي حياء.

ثم يقول أيضا: (أما ما يتعلق بنا فإني على بينة من أمر مولاي، وإن كان في قوة بيانه ما يشكك الملائكة في معبودهم والأنبياء في وحيهم، ولكن ليس في استطاعته أن يشك نفسه في نفسه)^(١).

قال الشيخ فهد الرومي: معلقا على خطاب محمد عبده وهي عبارات ولا شك خطيرة توجب إعادة النظر في عقيدة الرجل عند من لا تخدعه الأسماء، وقد استغرب السيد رشيد رضا نفسه هذه الرسالة من أستاذه حيث قال عند سياقه لها: (ومن كتاب له إلى السيد جمال الدين عقب النفي من مصر إلى بيروت، وهو أغرب كتبه، بل هو شاذ فيما يصف به أستاذه السيد مما يشبه كلام صوفية الحقائق والقائلين بوحدة الوجود التي كان ينكرها عليهم بالمعنى المشهور عنهم، وفيه من الإغراق والغلو في السيد ما يستغرب صدور عنه، وإن كان من قبيل الشعرية وكذا ما يصف به نفسه بالتبع لأستاذه من الدعوى لم تعهد منه ألبتة)^(٢).

فمن تلك التهم:

أ- الإلحاد إذ قال عنه تلميذه النصراني سليم العنجوري في (شرح ديوان سحر هاروت) عند ترجمته له: إنه سافر إلى الهند وهناك أخذ عن علماء البراهمة الإسلام، وأجل العلوم الشرقية والتاريخ، وتبحر في لغة (السانسكريت) أم لغات الشرق.

(١) ينظر: منهج المدرسة العقلية في التفسير، للشيخ فهد الرومي، ص (١٥٥).

(٢) السابق.

وبرز في علم الأديان حتى أفضى به ذلك إلى الإلحاد والقول بقدميه العالم، زاعما أن الجرائم الحيوية المنتشرة في الفضاء هي المكونة - بطرق وتحول طبيعيين - ما نراه من الأجرام التي تشغل الفضاء ويتجاذبها الجو، وأن القول بوجود محرك أول حكيم وهم نشأ من ترقى الإنسان في تنظيم المعبود على حسب ترقيه في المعقولات^(١).

وهذه بالضبط هي عقيدة حكماء مصر القديمة، التي تتبناها الماسونية من وراء حجاب وتظهرها في فترات متباعدة.

ويقول الشيخ الجليل مصطفى صبري^(٢) : (عن محمد عبده)^(٣):

(١) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام (٤٣/١).

(٢) ولد الشيخ مصطفى صبري عام ١٨٦٩ في الأناضول في مدينة توقاد التي ينسب إليها. وتعلم منذ نعومة أظفاره عند والده الشيخ أحمد التوقادي وأتم دراسته الأولية في توقاد حيث حفظ القرآن الكريم ثم رحل لطلب العلم الشرعي إلى مدينة قيسري ثم توجه بعدها إلى الآستانة وحصل على إجازتين علميتين. وقد نال إعجاب أساتذته ومشايخه فأصبح من أشهر المدرسين وهو لم يتجاوز ٢٢ سنة من عمره وكان أستاذا محاضرا في جامع السلطان محمد الفاتح بعد أن اجتاز الامتحان الذي يؤهله لهذه الوظيفة وكان ذلك في العام ١٨٩٠. وتخرج على يديه عدد كبير من الطلبة. تم اختياره في ١٦ يناير ١٩٠٠ عضوا في ديوان القلم، وهو أمانة السر في دولة الخلافة العثمانية واختارته هيئة كبار العلماء المعروفة بالجمعية العلمية رئيسا لصحيفتها الأسبوعية التي كانت تصدر تحت عنوان بيان الحق ليصبح بعد ذلك عضوا في دار الحكمة وهي هيئة كبار العلماء. تولى الشيخ صبري بعدها تدريس الحديث الشريف في مدرسة السليمانية وأصبح نائبا عن مدينة توقاد في المشروطة الثانية عام ١٩٠٨م، كان للشيخ مكانة علمية وأدبية واسعة بين معاصريه واستمر في التدريس والوعظ والإرشاد حتى تولى في عهد وزارة الدمام فريد باشا الأول منصب المشيخة الإسلامية وكان ذلك في العام ١٩١٩ وذلك بعد صدور الإرادة السلطانية بذلك، وظل الشيخ صبري محتفظا بمنصبه في الوزارتين المتعاقبتين، تضمن كتاب موقف العقل زبدة أفكار مصطفى صبري وآرائه السياسية والعلمية. فهو كتاب غني بالمباحث الفكرية الفلسفية والكلامية الدقيقة والتي تناولت الجوانب النظرية والعلمية. ويهدف الكتاب كما هو واضح من عنوانه إلى الدفاع عن عقائد الإسلام وأصوله الفكرية بأسلوب علمي رصين يدفع الشبه ويقم الحجاج، قال عنه محب الدين الخطيب: (فحل الفحول الصائل الذي يعد فضله أكبر من فضل معاصريه)، وقال عنه الشيخ زاهد الكوثري: (قرة أعين المجاهدين)، كما مدحه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة قائلا: (إن كتابه) (موقف العقل هو كتاب القرن بلا منازع)، توفي مصطفى صبري في مصر في الثاني من آذار ١٩٥٤. بسبب مرض الفالج، ينظر: مجلة حراء: مجلة علمية ثقافية فصلية. العدد الخامس: ديسمبر ٢٠٠٦ ص (٥٨-٦٢)، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٩٨٦م، مصطفى صبري المفكر والعالم الإسلامي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا: تأليف مفرج بن سليمان القوسي، دمشق ٢٠٠٦.

(٣) ولد محمد بن عبده بن حسن خير الله سنة ١٢٦٦هـ الموافق ١٨٤٩م في قرية محلة نصر. بمركز شراخيت في محافظة البحيرة. في سنة ١٨٦٦م التحق بالجامع الأزهر، وفي سنة ١٨٧٧م حصل على الشهادة العالمية، وفي سنة ١٨٧٩م عمل مدرسا للتاريخ في مدرسة دار العلوم وفي سنة ١٨٨٢م اشترك في ثورة أحمد عرابي ضد الإنجليز، وبعد فشل الثورة حكم عليه بالسجن ثم بالنفي إلى بيروت لمدة ثلاث سنوات، وسافر بدعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني إلى باريس سنة ١٨٨٤م، وأسس صحيفة العروة الوثقى، وفي سنة ١٨٨٥م غادر باريس إلى بيروت، وفي ذات العام أسس جمعية سرية بذات الاسم، العروة الوثقى.

يعد "الإمام محمد عبده" واحدا من أبرز المحددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، وأحد دعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة؛ فقد ساهم بعلمه ووعيه واجتهاده في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لعدة قرون، كما شارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر، وبعث الوطنية، وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العلم، ومسايرة حركة المجتمع وتطوره في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية.

(فلعله وصديقه أو شيخه جمال الدين أراد أن يلعبا في الإسلام دور لوثر وكالفين زعيمي البروتستانت في المسيحية فلم يتسن لهما الأمر لتأسيس دين حديث للمسلمين، وإنما اقتصر تأثير سعيهما على مساعدة الإلحاد المقنع بالنهوض والتجديد)^(١).

والمتصفح لحياة جمال الدين الأفغاني يدرك مدى الضلالات التي خرجت منه ويدرك أنه رافضي شيعي، ولم يستطع أنصار الأفغاني من بعده أن ينكروا هذه الحقيقة الثابتة بالأدلة القاطعة، ولكنهم لجئوا إلى التهوين من شأنها وأن شيعيته كما يقولون لا تضره^(٢).

ب- دعوة الأفغاني إلى وحدة الأديان وهذه الدعوة دليل بدعته وضلاله، وورد ذلك في الأعمال الكاملة يقول: (هكذا نجد الأديان الثلاثة: الموسوية واليسوية والحمدية على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية لقد لاح لي بارق أمل كبير وهو أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثل ما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها)^(٣).

ثم يشنع الأفغاني على الذين يصرون على اختلاف الأديان الذين أسماهم: (المزاربة الذين جعلوا كل فرقة بمنزلة حانوت، وكل طائفة كمنجم من مناجم الذهب والفضة، ورأس مال تلك التجارات ما أحدثوه من الاختلافات الدينية والطائفية والمذهبية)^(٤).

وفي سنة ١٨٨٦م اشتغل بالتدريس في المدرسة السلطانية وفي بيروت تزوج من زوجته الثانية بعد وفاة زوجته الأولى. وفي سنة ١٨٨٩م / ١٣٠٦هـ عاد محمد عبده إلى مصر بعفو من الخديوي توفيق، ووساطة تلميذه سعد زغلول وإلحاح نازلي فاضل على اللورد كرومر كي يعفو عنه ويأمر الخديوي توفيق أن يصدر العفو وقد كان، وقد اشترط عليه كرومر ألا يعمل بالسياسة فقبل. وفي سنة ١٨٨٩م عين قاضياً بمحكمة بنها، ثم انتقل إلى محكمة الزقازيق ثم محكمة عابدين ثم ارتقى إلى منصب مستشار في محكمة الاستئناف عام ١٨٩١م، وفي ٣ يونيو عام ١٨٩٩م / ٢٤ محرم ١٣١٧هـ عين في منصب المفتي، وتبعاً لذلك أصبح عضواً في مجلس الأوقاف الأعلى، في ٢٥ يونيو عام ١٨٩٠م عين عضواً في مجلس شورى القوانين. وفي سنة ١٩٠٠م / ١٣١٨هـ أسس جمعية إحياء العلوم العربية لنشر المخطوطات، وزار العديد من الدول الأوروبية والعربية. في الساعة الخامسة مساءً يوم ١١ يوليو عام ١٩٠٥م / ٧ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ توفي الشيخ بالإسكندرية بعد معاناة من مرض السرطان عن سبع وخمسين سنة، ودفن بالقاهرة ورثاه العديد من الشعراء.

من مؤلفاته: - رسالة التوحيد، تحقيق وشرح (البصائر القصيرية للطوسي)، تحقيق وشرح (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) للجراني، الرد على هانوتو الفرنسي، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية (رد به على إرنست رينان سنة ١٩٠٢م، تقرير إصلاح المحاكم الشرعية سنة ١٨٩٩م، شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، العروة الوثقى مع معلمه جمال الدين الأفغاني

ينظر: محمد عبده رائد الإصلاح في العصر الحديث من موقع إسلام أون لاين، <http://ar.wikipedia.org/wiki>.

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين لمصطفى صبري دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٩٨٦ (١/١٤٤).

(٢) ينظر: جمال الدين الأفغاني المفتى عليه، محمد عمارة، ص (١٤٥)، وحقيقة جمال الدين الأفغاني، للدكتور عبد المنعم حسنين،

ص (١٠)، وانظر ما قاله باحثو الشيعة عن الأفغاني وإثباتهم لشيعيته في مجلة التوحيد الشيعية (العدد ٨١)، دراسة بعنوان: جمال

الدين الأسد بادي الأفغاني، حكيم الشرق وباعث فضته لحسن السعيد، ص (١٢٩ - ١٤٢).

(٣) ينظر: خاطرت جمال الدين الأفغاني لاختبار عبد العزيز سيد الأهل ص (١٤) دار حراء القاهرة.

(٤) السابق.

فالأفغاني رجل رافضي تلبس بلباس السنة، وسمى نفسه الأفغاني رغم أنه إيراني الأصل، وهو رجل باطني يقول بوحدة الأديان، كما أنه عميل للسياسة الإنجليزية، وتلقن علومه في بلاطات ملوك أوروبا، فهو رجل - نستطيع أن نقول - لا صلة له بالإسلام.

الفرع الثاني: علاقة الأفغاني بالماسونية العالمية:-

نشأت الماسونية في إنجلترا متأثرة بالشكل التنظيمي لنقابات البنائين والتي كانت منتشرة في الشرق ممثلة في أوعية تنظيمية مغلقة فقد كان لكل حرفة شيخ يتبعه عمال وحرفيون وصبيان ينتمون إليه عادة بحكم القرابة حفاظا على سر المهنة من الضياع وهكذا انتفعت الماسونية بما كان معروفا عند أصحابها من التخفي والتعاون والحفاظة على سر المهنة، وعلى هذا فما يقال في كثير من الكتب عن قدم الفكرة وممارستها قبيل ظهورها بإنجلترا أمر لا يوجد عليه أي دليل تاريخي. وتعد الماسونية أكبر جمعية سرية في العالم انتشارا واسعا مما أغرت الملوك والرؤساء والقواد بالانتماء إليها ومن غايتهم القضاء على الدين.

وقد سجلت مضابط المؤتمر الماسوني العالمي بباريس ١٩٠٠م ما يلي:

إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم. إنما غايتنا هي إبادتهم من الوجود. إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة. إن هدف الماسونية العالمية هو تكوين جمهورية عالمية لا دينية.

وعندما انتخب (لمي) رئيساً أعلى للماسونية علق صورة المسيح مقلوبة على قصر الماسونية، وكتب تحتها العبارة التالية (قبل مغادرتكم هذا المكان ابصقوا على وجه هذا الإبلis الخائن).

كما سجلت إحدى نشرات الماسون التي عمت أرجاء المعمورة في سرية وكتمان، (نشرة المشرق الأعظم الفرنسي) سنة ١٩٢٣م، ص ٣٠٠ ما نصه: (على الإخوة الماسونيين أن ينفذوا في صفوف الجمعيات الدينية وغيرها، بل عليهم إن احتاج الأمر أن يقوموا بتأسيس هذه الجمعيات، على أن لا تشم منها أي رائحة حقيقية للدين عليكم أن تلموا شمل قطيعكم أينما كنتم حتى في المعابد الصغيرة وعليكم أن تولوا أمورهم للسذج من رجال الدين، ولتطمعوا خفية ذوي القلوب الكبيرة من الرجال بقطرات من سمومكم)^(١).

الماسونية كما يعرفها المستشرق الهولندي دوزي: (جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة هي إعادة الهيكل (إذ هو رمز دولة إسرائيل) لكن لا يعلم هذه الغاية إلا القليلون). تضم السواد الأعظم من الملوك والحكام والقضاة والأثرياء والزعماء والمثقفين وفريق من

(١) الماسونية سرطان الأمم لأبي إسلام أحمد عبد الله، سلسلة دعوة الحق، إصدار رابطة العالم الإسلامي، عدد (٧٤)، سنة ١٩٨٧م،

الذين يرتدون ثوب القديس بطرس ويضربون بعضا نيرون أو يصعدون المنابر، وأن سيف التضييق المصلت على رقاب جميع الناس أظهر أصناف ذلك الجمهور على الوجه التالي:

١ - مخدوع بالطلاء الخارجي لكن لا يكاد ينحل الطلاء حتى يعود ذلك المخدوع وإن حافظ القوم على استغلال اسمه.

٢ - حريص على حطام يحقق ذاته أو كرسي أو لقب أو وسام يشبع أنانيته.

٣ - ذو غاية فردية يستعذب الحبة ولو في شبكة الصياد ويطمع بالغنيمة ولو أصبحت أمته غنيمة.

٤ - تاجر كلام أراد لجريدته أو مجلته الرواج بين رواد المحافل فأخذ يتغنى بخطبائها.

٥ - موظف انتهت أعوام خدمته فأخذ يجد في المحافل ألقابا تشبع جوعته.

٦ - شخص بلغ قمة الدرجات وظهرت له الحقيقة لكنه يخاف أن يقال عنه: (أما عرفت الخطر إلا بعد نصف قرن).

٧ - أسير أقسام ترتعد فرائصه وتنحل عزيمته كلما ذكر الدم الذي وقع به صك العبودية، والحبل الذي اقتيد به لردهة الهيكل، ويتضاءل عزمه حين يرى نفسه قبل التكريس رجما دعيا زنيما دخيل النسب، وقد طهره المحفل فأصبح حر النسب إلا أنه لا يزال يرى تنفيذ الأقسام التي كررها بين العمودين واجبا^(١).

وبعد بيان أصناف المنتسبين إلى هذه المنظمة المشبوهة يتواصل الحديث حول موقف الماسونية أو خطرها على الأديان:

قال الأستاذ (كوفلين) في محفل ممفيس بلندن: (إننا إذا سمحنا لليهودي أو مسلم أو كاثوليكي أو بروتستانتي بالدخول في أحد هياكل الماسونية فإنما ذلك بشرط أن الداخل يتجرد من أضراليه السابقة ويجحد خرافاته)^(٢).

وتقول النشرة الألمانية بتاريخ ١٥ كانون الأول ١٨٦٦م: (أنه ليس فقط يجب على القرمسون ألا يكثرثوا للأديان المختلفة ولكن يقتضي عليهم أن يقيموا نفوسهم فوق كل اعتقاد بالإله أيا كان)، بل أكثر من هذا قرر محفل الشرق الفرنسي السامي في نشرة ١٨٩٥م ما يلي: (قدرت عشيرة الماسون بأنها تأبى اعتقاد أي حقيقة دينية كانت)^(٣)، فالماسونية لا تهتم بالأديان جملة، ولا تعبرها أدنى اهتمام؛ ابتداء من الإيمان بالله - كإله لهذا الكون - وإن قالوا بإله فإنهم

(١) الماسونية في العراق د. محمد علي الزغي، مؤسسة الزغي، بيروت الطبعة الثالثة، ص (٢٤).

(٢) ينظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة، الدرس الأول للمعهد الحديث ١٠١١/٣/١ ص (٨) علي رابط

efiles.mediu.edu.my/mye-books/.../GUSU٥٠٨٣%٢٠Lesson%٢٠١.doc

(٣) السابق.

يريدون الطبيعة وقواها المادية؛ فليست الماسونية سوى نكران جوهر الدين، مدعين أن الإنسان من جنس الله، وروح الإنسان من روح الله، فنحن البشر نؤلف الكل الذي يقدم به الكائن العظيم، وكل شيء يرجع إلى هذا، والخلاصة نحن الله.

وهكذا تتفق الماسونية في الإلحاد والتجديف في حق الله U، وإن كانت المحافل تتباين وتفترق في حقيقة الاعتقاد:

أ - فبعضهم يرى وحدة الوجود، وأن الكون والإله شيء واحد.
ب - وتسمي بعض المحافل (الإله أدويزام) وهو (أوزوريس) إله المصريين القدماء أو (ميثرا) إله الفرس و(بافوس) إله الرومان، وكما يثبت كتاب (كرستا مسدو) عن الماسونية وتعاليمها أن الماسونية هيكل عظيم كهيكل رومية القديم، تحفل بجميع الآلهة فترحب بهم.
ويقول دي فرنيك أحد زعماء المحفل الاسكتلندي: (إن إلهنا ليس له اسم مخصوص فهو مهندس الكون الأعظم)^(١)، ولكن يعود قائلًا: (إن اسم مهندس الكون الأعظم عندنا اسم بلا مسمى إن الطبيعة هي الله)^(٢).

ج - وهناك بعض المحافل تدين بالولاء للشيطان وتتخذة إلهًا.
قالت جريدة الملحد لسان حال الماسونية في ليفورنه - (إبليس هو رئيسنا)^(٣).
ويقول الجنرال بابك الكاهن الأكبر لعقيدة الشيطان: - (والحقيقة الفلسفية الخالصة هي أن الله والشيطان إلهان متساويان، لكن الشيطان هو إله النور والخير، وهو الذي ما زال يكافح منذ الأزل ضد إله الظلام والشر)^(٤).

ويصل شعار الحرب مداه من الماسونية على الأديان قاطبة أن يرددوا أن الأديان تخدر وتفتقر وتقتل روح الفكر والبناء.

أما الماسونية فهي توظف وتبعث الأمل وتحقق الوجود، وتجمع الذين فرقتهم الأديان، وتنتزع منهم الأمل المهدوم الرصيد، وتدرك أن الأديان إلا اليهودية أفيون ورجعية تناسب عصور الانحطاط.

بل إن تيودور هرتزل (نبي الماسون) ينادي في مؤتمره الذي عقده سنة ١٩٠٣م والذي ضم كبار الماسونيين الكونيين بالحملة على الأديان التي ورثتها الماسونية وتواصت بها عبر العصور،

(١) ينظر: مذكرة في الاسلام والمذاهب المعاصرة د/ أحمد فواقة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م. موقع الدكتور احمد فواقة.

(٢) السابق.

(٣) المنظمات السرية الصهيونية التي تحكم العالم ج ٦ (كنائس الشيطان) أ/ نبيل إبراهيم ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م بدون طبعه.

(٤) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، د. علي جريشة، دار الوفاء الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص(٢٦٠).

وجددتها بما يلي:

- ١ - إبادة البشرية والأجناس والأديان.
 - ٢ - الإكثار من الجمعيات التي تتفق مع الماسونية بالهدف وإن اختلفت الأسماء.
 - ٣ - حصر الأديان بالمعابد تمهيدا لإزالتها عن المعابد.
 - ٤ - يجب سحق عدونا الأزلي (الدين) مع إزالة رجاله.
 - ٥ - لا بأس أن يدخل الماسونيون بين المتدينين ويؤسسوا الجمعيات الدينية ليلعبوا بالسذج.
- ماذا بقي بعد قول هرتزل: (نعتزف بجميع الأديان ثم نضع عليها إشارات استفهام، فإذا تزعزع معتقوها عدنا وقلنا: لا خالد إلا نوايس موسى، ولاختصار الطريق ندخل أديان الناس ونحفظ إسرائيل في قلوبنا لإحالة تلك الأديان فرقا ومذاهب وطوائف؛ إذ من فوائد تعددها انتطاحها واقتتالها لأن الناس خراف ترعى بأرضها، وما علينا كي نوقعها بحوزتنا ونأكل لحمها وننتزع أرضها إلا أن نؤجج بينها نيران العداوة لتسهل إبادة بأيدينا^(١).
- وبعد؛ فإذا ظهرت لنا كل هذه الأخطار التي تمثلها الماسونية لكل الأديان والمذاهب الفكرية الموجودة على ظهر الأرض - عدا اليهودية - فإنها تسعى إلى إحيائها وجمع الناس جميعا حولها بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، الممكنة وغير الممكنة من: (إثارة الفتق وتخريب الأديان وإيقاع العداوات بين الجماعات والدول وسفك الدماء والاغتيالات) فيا ترى ما هي علاقة جرجي زيدان صاحب الهلال وكاتبها بالماسونية أو ما موقفه منها وطبيعة علاقته بها، حرص جرجي زيدان على عدم إعلان ماسونيته طوال حياته إعلانا صريحا رغم تأليفه لأهم كتاب عن الماسونية في العربية: (تاريخ الماسونية العام) والذي يتعاطف فيه بدرجة قصوى مع الماسونية والماسون إلا أنه لم يعلن انتسابه إليها.
- غير أن الأب لويس شيخو^(٢)، وهو معاصر لزيدان ومن أشد الكتاب عداء للماسونية في كتابه الشهير: (السر المصون في شيعة القرمسون) يقول: (.. فلتسمعن الآن أقوال... إلخ، بعده الماسون من مشاهير رجالهم وهو الأخ جرجي زيدان وقد أفادنا في كتابه (تاريخ الماسونية العام) أن كتابه مبني على أساس الحق وقد راجع لمعرفة الصواب شيوخ الماسونية كالأخ المحترم نقولا حجي

(١) الماسونية في العراق د. محمد علي الزغيبي، ص (١٣).

(٢) لويس شيخو: منشئ مجلة المشرق في بيروت أحد المؤلفين الكثرين كان اسمه قبل الرهينة (رزق الله يوسف يعقوب شيخو) ولد في ماردن بالجزيرة الفراتية وانتقل إلى الشام يافعا وتعلم بمدرسة الآباء اليسوعيين في سنة ١٨٧٤م وتنقل ببلاد أوروبا والشرق فاطلع على ما في الخزائن من كتب العرب وانصرف إلى تعلم الآداب العربية في كلية القديس يوسف، ثم أنشأ مجلة المشرق سنة ١٨٩٨م فاستمر يكتب أكثر مقالاتها خمسا وعشرين سنة وكان همه خدمة طائفته وتوفي في بيروت وله مؤلفات عدة منها: شعراء النصرانية، الآداب العربية في القرن التاسع عشر نقلا عن خير الدين الزركلي الإعلام (٢٢٦/٥).

رئيس محفل لبنان سابقا والأخ المحترم وليم أسعد الخياط رئيس محفل فلسطين والأخ كلي الاحترام (سوليتوري أفندي أفنتوري زولا) رئيس أعظم محافل مصر سابقا^(١).

وقد طبع لويس شيخو كتابه في حياة جرجي زيدان ورفاقه ١٩١٠م، ولم يعترض على ذلك أحد قط من الماسون. مما يدل على أن زيدان (لم يكن ماسونيا مجردا، أو مجرد ماسوني - بل كان كما أثبت الأب شيخو - من مشاهير رجال الماسون لكن لعبة توزيع الأدوار التي تنتهجها أغلب المنظمات السرية هي التي جعلته لا يصرح بماسونيته تصرّحا عنيفا وحادا حتى يكون صوتا مسموعا للماسونية تكسب به أنصارا ومواقع، إذ من غير المعقول بل ومن المستحيل على رجل كجرجي زيدان أو غيره - وفقا لقواعد الكتمان والسرية التي تغلف الماسونية - أن يتصل بكبار الماسون ورؤساء المحافل في مصر وفلسطين ولبنان وغيرها ويعرض عليهم ما كتبه عن الماسونية إلا إذا كان مصدر ثقة كبير بالنسبة لهم وعضوا ضليعا ورجلا كبيرا في جماعتهم وإلا فمن أعلمه أن هذا رئيس محفل وذاك أستاذ أعظم وذاك كذا وهذا كذا... الخ.

وقد انضم الأفغاني بحكم اشتغاله بالسياسة حين كان في مصر (١٨٧١ - ١٨٧٩م) إلى الحركة الماسونية، أو المحفل الماسوني (البريطاني)، وتبعه تلميذه الشيخ محمد عبده^(٢).

وجمال الدين الأفغاني قد طلب الانضمام للمحفل (الماسونية) عام ١٢٩٢هـ ثم اختير بعد ثلاث سنوات رئيسا لمحفل كوكب الشرق في عام ١٩٧٨م بأغلبية الآراء ثم اعتزله، وأنشأ محفلا وطنيا تابعا للشرق الفرنسي، ثم صدر أمر بنفيه من مصر عام ١٢٩٦هـ، ولم ينقطع نشاطه الماسوني أينما حل، بل إنه تحالف مع الإنجليز ضد الخلافة الإسلامية^(٣).

وكان جمال الدين متأثرا بشعارات الماسونية - التي رفعتها الثورة الفرنسية - لا سيما شعار المساواة، واعتقد أن من أعظم علل الشرق أن المرأة فيه ليست متساوية مع الرجل في الحقوق والواجبات، وكان من تلاميذه الذين سرت فيهم هذه الفكرة محمد عبده وقاسم أمين، وكان الأخير مترجما لجمعية العروة الوثقى^(٤).

(١) السر المصون في شيعة القرمسون، للأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت للطباعة، ١٩١٠م، الكراس الأول، ص(٦).

(٢) ينظر مثلا: ما قيل حول الشيخ محمد جمال الدين الأفغاني، وانتسابه إلى محفل (كوكب الشرق) الماسوني الإنجليزي في مصر في مؤلفات من كشف حقيقته، مثل: حقيقة جمال الدين الأفغاني، وهو كتاب باللغة الفارسية لابن أحت الأفغاني ميرزا لطف الله خان الأسد آبادي، وقد ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور عبد المنعم حسين الأستاذ بقسم اللغات الشرقية وآدابها بكلية الآداب في جامعة عين شمس، الماسونية والماسونيون في الوطن العربي، تأليف حسين عمر حمادة، ص (٢٢١) وما بعدها، صوت الماسونية، تأليف زكي إبراهيم ص (١٦٢) وما بعدها.

(٣) ينظر العصرانيون، لمحمد بن حامد الناصر، ص (٣٥).

(٤) ينظر: قاسم أمين، ص (٢٠ و ٣٤).

وقد كان محمد عبده وأستاذه الأفغاني على اتصال بالماسونية وأكد ذلك عدد من الباحثين ومنهم المعاصرون لهما كالشيخ يوسف النبهاني، قال في مناقشة لمحمد رشيد رضا: (ثم قلت له: ومما لا يختلف فيه أحد أنه كان محمد عبده وشيخه الشيخ جمال الدين الأفغاني داخلين في الجمعية الماسونية، وهي لا تجتمع مع الدين بوجه من الوجوه، بل هي ترفض الأديان كلها وهي ضد السلطات كلها الدينية وغيرها، فكيف يمكن أن يكون قدوة في دين الإسلام مع كونه ماسونيا وكذلك شيخه، فقال الشيخ محمد رشيد رضا نعم هما داخلان في الماسونية ولكن أنا لم أدخل فيها)^(١).

وذكر الشيخ مصطفى صبري: أن محمد عبده وأستاذه الأفغاني لهما علاقة بالماسونية حيث قال: (إن حملة الأقلام عندما أكبروا محمد عبده أوجدوا له من السمعة العلمية السامية ما لا يزال طينه في أذن الشرق الإسلامي، كان ذلك حثا للذين يحبون الشهرة والظهور من شباب العلماء وكهولهم على نيل ما أرادوا بواسطة الشذوذ على الرأي والتزلف إلى الكتاب المتفرجين، بل الانتماء إلى الماسونية وقد نال محمد عبده رتبة البلح والصدف -رتبة ماسونية- من المندوب الأمريكي في محفل لبنان)^(٢).

وقد راسله المحفل الماسوني بخطاب لفظه: لوج كوكب الشرق نمرة ١٢٥٥ في القاهرة بمصر و٧ جنبايو ١٨٧٨ / ٥٨٧٨ إلى الأخ جمال الدين المحترم.

(إنه لمعلوم لديكم بأن في جلسة ٢٨ الماضي، وبأغلبية الآراء صار انتخابكم رئيس محترم لهذا اللوج لهذا العام؛ ولذا قد فنيكم وفني ذاتنا على هذا الحظ العظيم، وعن أمر الرئيس محترم الحالي أدعو إخوانكم للحضور يوم الجمعة القادم ١١ الجاري الساعة ٢ عربي بعد الغروب إلى محفل هذا اللوج لأجل استلامكم القادم بعد إتمام ما يجب من التركيز الاعتيادي، ثم سيصير يوم الخميس ١٠ الجاري الساعة ٦ أفرنجي مساء - تركيز رئيس محترم لوج كونكورديه، فالرجاء حضوركم في اليوم المذكور للاشتراك في الأشغال، وفي الحالتين ملابسكم تكون سوداء، ورباطة الرقبة والكفوف بيضاء، واقبلوا منا العناق الأخوي).

كاتب سر " نقولا سكروج "

ويظهر من هذه الوثائق عدة حقائق:

إضافة نعوت الجلال وصفات الكمال على الماسونية، ومحافلها وأتباعها مثل: (خلان الوفا)، و(إخوان الصفا)، و(الجمع المقدس)، و(الجمع المطهر)، و(المتدى المفتخر) بل جعلها في مصاف

(١) الإسلام والحضارة الغربية، ص (٩٠).

(٢) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ص (٣٢٨، ٣٢٩).

الشرائع المعصومة (الذي هو عن الزلل مصون).

فيها إشارة إلى بعض الطقوس والرموز الماسونية مثل (استلام القادوم) و(الملابس السوداء ورباطة العنق والكفوف البيضاء).

فيها إشارات يهودية، فالتواريخ بالسنة العبرية، والشهر العبري، فشهر جنيابو يقابل يناير أو يونيو أما سنة (٥٨٧٥)؛ فهي سنة النور عند اليهود؛ وتعني أربعة آلاف سنة قبل الميلاد.

الفرع الثالث: أنشطة الأفغاني المشبوهة:-

اتخذ الأفغاني من بار (ماتنيا) في العتبة الخضراء بالقاهرة، أو في (قهوة البوسطة) قرب ملهى الأزبكية منتدى لسهره وسمره مع أصدقائه وتلامذته في مصر .

اتخذ الأعوان والمساعدين من اليهود والنصارى، فقد جعل من معاونيه يعقوب صنوع اليهودي صاحب الأموال، وأبو نظارة النصراني والذي رثاه في (العروة الوثقى)، وسليم عنجوري النصراني^(١)

قال محمد محمد حسين: (ومما يريب الباحث في أمر جمال الدين وأهدافه -أيضاً- أن أكثر نشاطه كان سرياً؛ فقد كان أول من أدخل نظام الجمعيات السرية في العصر الحديث في مصر، وكان حينما حل يؤسس الجمعيات السرية وينشرها)^(٢).

ومن هذه الجمعيات السرية:

١ - الحزب الوطني الحر.

٢ - جمعية مصر الفتاة.

٣ - جمعية العروة الوثقى.

كان يهتم بالسياسة، ويؤثر بالأحداث السياسية في كل بلد يدخلها، كالأند و أفغانستان، وإيران، ومصر، وتركيا.

الأفغاني كان يريد إعادة الدولة الشيعية إلى بلاد مصر، ولهذا اختار المقام فيها على غيرها من البلاد الأخرى، وأنه لأجل هذا كان يخفي شيعيته ويدعي الانتساب لآل البيت؛ ليتمكن من تكوين عصابة حوله تعينه على هذا الأمر إذا ما حانت ساعة الصفر كما يقال، وأنه كان لا يفضي بهذا الأمر إلا لخاصته؛ كمحمد عبده. وهذه ليست بغريبة على الشيعة الذين لا زالت قلوبهم تمفو إلى هذه البلاد منذ أن طردوا منها، فقد قاموا بعدة تجارب لأجل هذا الأمر؛ من أهمها تجربة السيد البدوي الذي أرسله أساطين الرفض في العراق إلى بلاد مصر، فكانت غايته - كما يقول الأستاذ

(١) من هو جمال الدين الافغاني لسليم بن عيد الهالبي ج ١ <http://dherarbelhoul.wordpress.com>

(٢) الإسلام والحضارات الغربية، ص (٦٥ - ٧٨).

محمد فهمي عبد اللطيف أن يجمع عصبية في الديار المصرية للعلويين، كتلك العصبيات التي كان يجمعها غيره من الصوفية في أقطار العالم الإسلامي حتى تكون عوناً لهم إذا ما تهيأت الفرصة، ونهضوا لطلب الملك.

ومما يشهد لهذا: الغموض الذي أحاط الأفغاني به نفسه، حيث لم يوضح بصراحة حقيقة أفكاره؛ إنما هي أمور عامة يشترك معه فيها غيره.

ولا شك أن من طالع كتاب دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام للأستاذ مصطفى فوزي غزال رأى الكفر الصراح والمروق البواح عن الإسلام.

قال الشيخ مصطفى صبري عن دعوة الأفغاني ومحمد عبده: (وأما الدعوة الإصلاحية المنسوبة إلى محمد عبده فخلاصته أنه زعزع الأزهر عن جهوده على الدين، فقرب كثيراً من الأزهريين إلى اللادينيين، ولم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدين الأفغاني، كما أنه شجع قاسم أمين على ترويج السفور في مصر)^(١).

وجمال الدين الأفغاني هو الذي كان له أعظم الأثر والدور في إخراج الدين من المعركة تحت دعوى أن الحجاب تقاليد قديمة ضد تقاليد حديثة عصرية تقدمية حتى قال: (وعندي أنه لا مانع من السفور إذا لم يتخذ مطية للفجور).

الفرع الرابع :- تأثر الأصول الفكرية للجماعة بالأفغاني :-

الأصول الفكرية لجماعة الإخوان المسلمين تعود إلى رجل الدين الفارسي (سعيد جمال أسد آبادي) المعروف في العالم السني باسم (جمال الدين الأفغاني)، ليصبح من المخططين للنهضة الدينية التي اجتاحت العالم السني نهاية القرن التاسع عشر، فبعد هجرة الأفغاني إلى مصر عام ١٨٧١م، بدأ ينشر مبادئ حركته الإصلاحية ويؤثر في جيل جديد من علماء الدين والمفكرين المصريين وعلى رأسهم (محمد عبده) ومن خلفه حسن البنا الأب الروحي للجماعة

قال حسن البنا: (عن الأفغاني) (بني مصطفى كامل وفريد وجدي، ومن قبلهما جمال الدين ومحمد عبده نهضة مصر، ولو سارت في طريقها ولم تنحرف عنه؛ لوصلت إلى بغيتها، أو على الأقل لتقدمت ولم تتقهقر، وكسبت ولم تخسر)^(٢).

وبين كثير من كتاب الإخوان المسلمين، ومثقفهم: أن دعوة الإخوان المسلمين تسير على منهج الأفغاني ومدرسته.

(١) (١٣٣/١، ١٣٤).

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ص (١٨٢).

قال محمد ضياء الدين الرئيس: (فإنها كانت الوطن - أي مصر - الذي اختاره جمال الدين لنشر رسالته لإعادة قوة الإسلام، فتلاه محمد عبده الذي أوجد النهضة في دراسة العلوم الإسلامية، وواصل جهوده محمد رشيد رضا وطنطاوي جوهرى وفريد وجدي وغيرهم ثم ظهرت جماعة الإخوان المسلمين لتسير على نهج المصلحين السابقين)^(١).

قال صالح عشناوي: تحت عنوان (حسن البناء مرحلة في تاريخ الكفاح الإسلامي) (حسن البناء في حربه للاستعمار وثورته للحرية ودعوته للوحدة الإسلامية؛ إنما كان يضع حلقة جديدة في الكفاح الإسلامي بجانب الحلقة التي وضعها جمال الدين الأفغاني، ولقد جمع حسن البناء بين طريقة السيد جمال الدين الثائر للحرية وبين طريقة محمد عبده)^(٢).

ومن أغرب ما قاله الإخوان المسلمون في الثناء على الأفغاني والدفاع عنه، قول محمود عبدالحليم: تحت عنوان (كلمة أخيرة عن جمال الدين الأفغاني)^(٣) (لو كان الحديوي توفيق حيا؛ لقر عينا بما كتبه الأستاذ الدكتور لويس عوض من مقالات عن الأفغاني ولو كانت اللجنة المغرضة التي كتبت أسباب نفي الأفغاني من مصر قائمة وموجودة؛ لقرت عينا هي الأخرى بما كتبه الدكتور لويس عوض عن الأفغاني).

ولذلك يرى البحث تأثر الإخوان المسلمين بدعوة الأفغاني في جملة من العناصر أبرزها ما يلي:
١ - السرية في العمل التنظيمي، ومن ذلك أن حسن البناء أقام الجهاز السري، الذي تفرعت منه خلايا ذات بلايا، طمت وعمت كل الأنحاء والزوايا^(٤).

٢ - الاهتمام بالسياسة بغض الطرف عن ارتباطها بالقواعد الشرعية التي تضبطها.

٣ - الدعوة إلى التقريب مع الشيعة الروافض والطوائف الضالة.

٤ - الدعوة إلى موالاة اليهود والنصارى وحوار الأديان ومن مظاهر ذلك:

أ - دعوة قساوسة النصارى وأعيانهم لمشاركة الإخوان احتفالاً بهم^(٥).

ب - إشراك النصارى في كثير من اللجان^(٦).

ج - الدين لله والوطن للجميع.

أجرت مجلة (المجلة)^(٧) حواراً مع المرشد الثالث عمر التلمساني، جاء فيه:

(١) مجلة الدعوة عدد ١٣ ص (٢٢) رجب ١٣٩٧هـ.

(٢) مجلة الدعوة عدد ٢١ ص (٢٣) ربيع أول ١٣٩٨هـ.

(٣) مقال بجريدة الاهرام ١٨/١٠/١٩٨٣.

(٤) حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين، محمود الصباغ.

(٥) ينظر: مواقف في الدعوة والتربية، حسن البناء، ص (١٢٠)، وبأقلام تلامذته ومعاصريه، حسن البناء، ص (١٨٥).

(٦) ينظر: تصورات الإخوان المسلمين للقضية الفلسطينية، ص (٢٣).

(٧) ينظر: عدد رقم (٢٢٠) ٢٨ نيسان - ٤ أيار ١٩٨٤م/٢٧ رجب ١٤٠٤هـ، ص (٨، ٩).

(الدين لله، والوطن للجميع. هذا هو أحد الشعارات التاريخية للوفد، إلى أي مدى تتفق مع هذا الشعار؟، أليس هذا هو الواقع؟ ألم تكن المدينة المنورة وطنا للمسلمين واليهود على عهد رسول الله ﷺ مع بقاء كل مواطن على دينه دون تعرض له في معتقداته؟
إن في كل دولة في العالم أقليات لها معتقدات دينية تخاف الأكثرية، فالكل يتولون الوظائف العامة، ويجندون للدفاع عن وطنهم كتفا إلى كتف، لماذا يعتبر هذا المعنى شعارا أو شيئا غير مقبول؟ إن الإسلام يسع كل الديانات بعد أن قال الله ﷻ (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩))^(١)، ثم الحساب عند الله، وليس في الإسلام إكراه على دين بذاته) .

(١) سورة الكهف الآية: ٢٩.